بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

دراسة فنية لديوان سيد قطب

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالب:

هارون يونس آدم أحمد

إشراف الدكتور:

فاروق الطيب البشير

١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

الاستهلال

قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية (١١)

إهداء

إلى كل من آمن وعمل صالحاً لأهله

إلى كل من احترقت أنامله ليقدم خيراً لوطنه

إلى كل من نصح واستنصح بالحق والصبر

إلى صفوة القراء الذين ينشدون الحقيقة

إلى الأستاذ العالم الوقور ومعلم الأجيال الدكتور فاروق الطيب البشير

إليهم أهدي هذا البحث

هارون يونس

شكر وتقدير

أشكر ربي على نعمة الإيمان والإسلام، والعلم والصحة والإنعام، لا أحصي ثناءً عليك يا خالق الأنام (. . .رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)[1].

(١) سورة النمل، الآية ١٩

المقدمـــــة

الدراسة الفنية لدواوين الأدب من أهم مستلزمات ومقتضيات التطــور الفكري للأدب؛ ذلك لأن نقد تلك الدواوين عن طريق تلك الدراسة ضــرورة لازمة لتقويم مسار الحركة الفكرية وتقدمها وهي بمثابــة الموجــه الــواعي والمدرك لحقيقة العمل الأدبي.

سيد قطب المفكر الإسلامي والأديب والشاعر هذه الصفات جعلت منه شخصية رائدة، تستحق البحث والتنقيب عن آثاره الأدبية والفنية حيث قضــى ثلاثين عاماً في الشعر، وغاص في أعماقه. له قصائد هادفة في ظلال الإيمان والورع والعفاف، كلماتها حساسة معبرة وأسلوب رقيق مؤثر يجعل القــارئ منتشياً بل يذوب وجداً من خلال لذة الألم والجهد المرير ومن خلال معايشــة الأفكار والمعاني، والعاطفة والمتعة الروحية.

وأبدى سيد قطب نزوعاً واضحاً للتمرد والشكوى والتأمل على القــيم الحيوية السائدة في مجتمعه آنذاك.

اتصف مسلكه الشعري بالحرص على موروثات شعبه الدينية والتزامه الفني باختيار العبارة والصيغة الدقيقة الموجبة.

في البحث موضوعات فلسفية وفكرية على جانب كبير مــن الأهميــة لتصوير حالات النفس، فهو مصورٌ لنفسه ووجدانه، مشعره نابع من تجربتــه الذاتية لذا جاء شعراً صادقاً معبراً لحالاته النفسية التي عايشها فــي الريــف والحضر والغربة والسجن.

بالديوان إحساس بوحشية الكون وفنائه وسيطرة القدر عليــه، قوالــب البشر تمر دون أن تمتلك حق الرجوع. إحساس قوي بالضياع والتشاؤم، جاء ذلك في تأليف منهجي صحيح ومتناسب لربط الأسباب بالنتائج، ولــيس فيــه خروج عن القيم والدين والأخلاق.

بالديوان صراع لكشف المجهول وأسرار الكون. سلك الشاعر في ذلك حركة واعية شابها الإخلاص والصدق الفني وأصالة الإبداع. لم يلجــأ إلــى

المهارات اللغوية ليعبث بها في صياغة قصائده. بل جمع لأفكار ودواعي الإيثار لينقل تلك التجربة الذاتية فجاءت الصورة جميلة رائعة وهناك الإحساس والشعور بالزمن والجسم والعقل والوحدة، فكانت ذات قيمة أدبية عالية. لرؤية الشاعر أنّ الكون متناسق متناغم لا أجزاء متنافرة.

انتهى هذا الإحساس إلى القمة التي تصل الإنسان بالجمال والكمال ويصل الإنسان إلى الأفق الأعلى بالله سبحانه وتعالى.

وهناك مقوِّمات التجربة الشعرية لذلك الديوان. لقد وقف سيد قطب على أجزائها بفكره وإحساسه يرتب وينظم، ثم نقلها للقارئ في أدق ما يحيط بها من أحداث.

لكل تجربة شعرية عناصر: فكرية وخيالية وعاطفية. فهذه العناصر في ذاتها لا يتآلف منها شعرٌ، إذ إنها والحال هذه نثرية في طبيعتها. فالشاعر سيد قطب اتخذ من تلك العناصر مواد تصويرية استعان بها على جلاء صوره بعد أن توافرت لها قوة الإيحاء والتعبير. ثم كانت أفكاراً وخواطر ممزوجة بالخيال والعاطفة كشفت عن أغوار قلبه الإنساني. فكانت أعمق من مجرد حواس ظاهرة أو طلاء مصطنع، بل كانت صوراً نفسية عميقة. إفضاءً بذات النفس وإخلاصاً وتركيزاً وانتباهاً.

فالأدب إن كان شعراً أم نثراً فهو أفكار وأحاسيس ومشاعر يحس بها الإنسان في دواخله فيُسخّر عواطفه وخياله ليخرجها إلى الملتقى.

أسباب اختيار البحث:

أسباب اختياري لديوان سيد قطب هو أن صاحب هذا الديوان معروف عندي، بل عند كل الشعوب الإسلامية مفكراً إسلامياً ومفسراً للقرآن وقلّ من يعرفه شاعراً.

لهذا سأبذل جهداً في هذا البحث متناولاً قصائد الديوان بالشرح والتحليل والنقد والدراسة لإظهار ما عليها من مآخذ وما فيها من إبداعات والوصول في الختام إلى نتائج وتوصيات لهذا البحث.

من هنا يأتي تعريف النقد وخطواته وأهميته ومجالاته.

أهمية البحث:

إن ملكة الإبداع الأدبي عطاء من الله سبحانه وتعالى، بل هي هبة لمن يشاء من عباده وبهذا جاءت التسمية (موهبة) وهي تكمن في القدرة الفائقة على استخدام اللغة العربية استخداماً بارعاً قادراً على حمل الأفكار والمعاني والعواطف والخيال والمشاعر ونقلها من جيل إلى جيل.

والمواهب كثيرة ومتنوعة ولكنها تتفاضل ولا تتساوى ويقع الإبداع الأدبي في أعلى المنازل. والشعر من أرقى مراتب الإبداع لتآلف الأصوات وترابط الإيقاع ورنين الجرس مما يطرب الأسماع وتهتز له النفس والمشاعر.

من هنا تأتي أهمية دراسة ديوان الشاعر والمفكر الإسلامي سيد قطب لمعرفة مدى قوة أو ضعف شاعريته؟ ودراسة تجربته الشعرية وإبراز القضايا الأدبية التي تناولها في الديوان وتقويمها والكشف عما هو جديد.

منهج البحث:

هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي متتبعاً حياة الشاعر الأولى والبيئة التي عاشها وأثرها عليه، والمؤثرات العامة ومقومات تجربته الشعرية والخصائص الفكرية في الديوان، والحالات النفسية في شعره وإحساس الشاعر بالكون وعلاقته بالحياة، وتتبع أبرز خصائص شعره.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

الحمد لله والشكر لله أولاً وأخيراً. حقيقةً لقد واجهتني صعوبات عديدة في جمع بعض الكتب والمعلومات التي لها علاقة بهذا البحث منها، قلة المصادر وندرتها.

لقد اضطررت للاستعارة من بعض الأصدقاء كتباً لعدم وجودها في المكتبات العامة.

ومن الصعوبات التي واجهتني مشقة السفر من ملكال إلى الخرطوم. إذ إني أعمل بملكال منذ أكثر من ثمان سنوات.

ولكن الحمد لله رغم هذه الصعوبات كنت أجد لذة عند الحصول على أي مرجع أو مصدر ولذة أكبر عند الانتهاء من أي فصل، ولذة أشمل وأقوى عند طباعة البحث وتسليمه للدكتور فاروق الطيب البشير فالشكر موصول له لتعاونه معنا في هذا الجانب.

هيكل البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى فصول ومباحث. البحث يحتوي علـــى أربعـــة فصول. ولكل فصل عدد من المباحث. وكل مبحث عدد من المطالب.

الفصل الأول: شاعرية سيد قطب: ويحتوي علـــى مبحثـــين وســـبعة مطالب:

الفصل الثاني: قصائد الديوان واتجاهاتها الشعرية. ويحتوي على عشر مباحث ثم للإحصائية الزمنية.

الفصل الثالث: التجربة الشعرية ودورها في شخصية الشاعر. يحتوي على ستة مباحث.

الفصل الرابع: أبرز القضايا في شعر سيد قطب. يحتوي علـــى ســـتة مباحث وستة مطالب.

وأخيراً الخاتمة: تحتوي على: أهم الظواهر التـــي تناولهـــا البحـــث: النتائج، والتوصيات، والفهارس.

الفصل الأول

شاعرية سيد قطب

المبحث الأول: حياته ونشأته والمؤثرات العامة

- ❖ المطلب الأول: عصره وبيئته وأثرهما في شعره
- ❖ المطلب الثاني: مولده ونشأته وحياته وأثرها في شعره
- ❖ المطلب الثالث: مراحل نظم الشعر عنده

المبحث الثاني: مؤثرات عامة في شعره

- ❖ المطلب الأول: تأثره بالعقّاد
- ❖ المطلب الثاني: تأثره بالريف
- ❖ المطلب الثالث: أثر السجن في شعره
- ❖ المطلب الرابع: أثر الغربة في شعره

الفصل الأول
شاعرية سيد قطب

المبحث الأول: حياته ونشأته والمؤثرات العامة

المطلب الأول: عصره وبيئته وأثرهما في شعره:

كانت القاهرة في الفترة بين الحربين العالميتين تعجُّ بصالونات الأدب. كانت تلك الصالونات ذات طابع سياسي ودِيني وفكري. أبرز تلك الصالونات، صالون "مي زيادة". كان يرتاده أعلام الأدب في تلك الفترة، أمثال لطفي السيِّد، والعقّاد، وطه حسين، والرافعي، وإسماعيل صبري[١].

كانت القاهرة تعيش بيئةً مليئةً بالخلافات والمعارك بين الشخصيات والمدارس الأدبية. كان عصراً لرواد الأدب الحديث كالدكتور طه حسين، وخليل مطران، أحمد زكي أبي شادي، وإبراهيم عبد القادر المازني، عبد الرحمن شكري، وحشد من تلاميذ هؤلاء وأولئك العمالقة.

كانت المدارس الأدبية تملأ ساحة الأدب العربي مثل مدرسة الديوان، ومدرسة أبولو، والمدرسة التقليدية.

الخلافات عنيفة بين المدارس حول المفاهيم والتصوّرات والنظريات في الأدب والنقد والشعر. كلٌّ يكافح خصومه ويدافع عن آرائه[٢].

كانت هذه المعارك تثير الخصومات الشخصية باسم الأدب والنقد، لأن معظم هذه المعارك نابعة من مصالح ذاتية وولاءات حزبية[٣]. الجانب الإيجابي لهذه الخصومات والمعارك ما صرح به الدكتور طه حسين حين قال: ".. إنّ هذه الخصومات قد فتحت للمعاصرين أبواباً جديدة في الفن، وآفاقاً في النقد، وعلّمتهم أنّ الشعر لا ينبغي أن يكون تقليداً للقدماء، ولا

---

(١) د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، الطبعة العاشرة، القاهرة، ص ٧٠

(٢) د. سيد أحمد الكشميري، عبقري الإسلام سيد قطب، دار الفضيلة، القاهرة، ص ٨٧

(٣) أنور الجندي، أضواء على الأدب العربي المعاصر، ص ١٥٧- ٢٠٠، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م

محاكاةً لهم، في رصانة اللفظ وجزالة الأسلوب وروعة النظم، مهما تكن مكانة هؤلاء الأدباء، ومهما يعظم حظّهم في التفوق والنبوغ" وأضاف قائلاً: "فلتذك جذوة الأدب وليسطع لهبها ولا بأس بأن نكون نحن الأدباء وقوداً لهذا النار[١].

لقد كان لسيد قطب نصيب في الخوض والنضال في هذه المعارك، فكان فارساً من أمهر فرسانها وجندياً من أجرأ جنودها. حارب جنباً إلى جنب مع العقاد وتلاميذه الآخرين ضد خصومه مثل شوقي وأحمد زكي أبو شادي وبلغت ذروتها في معاركه مع الرافعي[٢].

عاش سيد قطب في هذا العصر تلميذاً لأحد رواد ذلك العصر (العقاد). تأثر بالجوّ العلمي والأدبي آنذاك. كان يجالسهم وتدور بينهم أحاديث ومناقشات عن الأدب والفن. فتأثر سيد قطب بثقافتهم وبنى عناصره المكونة لشخصيته الذاتية، وفي حرية التفكير والاستقلال بالرأي.

ومن الجانب السياسي، كانت الاشتباكات اليهودية الفلسطينية مستمرة ومستديمة. وكانت مصر، مثلها كمثل الأقطار العربية والإسلامية والأقطار المستضعفة الأخرى، تعيش في بيئة راكدة، تعاني من الفوضى السياسية والاستغلال الاقتصادي[٣].

هذا هو العصر والبيئة التي عاشها سيد قطب. عصر ازدهر فيه الأدب وتنوعت المدارس الأدبية وظهرت الخصومات الشخصية باسم الأدب، التي كانت عاملاً من العوامل التي أذكت جذوة الأدب، وظهر الأدباء والشعراء المصريون رغم البيئة المصرية الراكدة التي كانت تعاني منها، بسبب الفوضى السياسية والأوضاع الاقتصادية. إلا أن سيد قطب استطاع ان يتفاعل مع عصره وبيئته ليشق طريقه ويتبوّأ مكانته هذه بين شعراء عصره.

---

(١) د. طه حسين، المجموعة الكاملة م١١، خصام ونقد، ص ٦٢٤- ٦٣٧، ط١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت

(٢) د. سيد بشير أحمد الكشميري، مرجع سابق، ص٨٩-٩٧

(٣) د. سيد بشير الكشميري، مرجع سابق، ص ٩٠-١٠٠

المطلب الثاني: مولده ونشأته وحياة وأثرها في شعره:

قال الدكتور طه حسين: "إنّما الرجل وماله من آثار وأطـوار نتيجـة لازمة، وثمرة ناضجة لطائفة من العلل التي اشتركت فـي تـأليف مزاجـه وتصوير نفسه"[١]. وقد نبّه الأستاذ أحمد أمين بنفس الحقيقة قائلاً: "والحق أن قدراً من معرفة حياة الفنان لازم لفهم ما صدر عنه من فن، وهو القدر الـذي يرسل الضوء على الآثار الفنية. ومن مهمات دارس الأدب معرفة العلاقة بين الصفات الفكرية والعاطفية والجمالية لكتابة أي إنسان وبين الصفات الشخصية لعبقريته ونفسيته"[٢] فلا بد لنا ونحن بصدد دراسة سيد قطب كأديب معاصر، أن ندرس شخصيّته وحياته –بقدر– كما أشار إليه الدكتور طه حسين عميـد الأدب العربي، والأستاذ أحمد أمين حتى يسهل علينا فهم تطورها من جانب، ومن جانب آخر نخمن العلل التي اشتركت في تأليف مزاجه".

هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي[٣]. ولد في قرية "موشا" بمحافظة أسيوط بجمهورية مصر العربية، عام ١٩٠٦م، الموافق ١٣٢٤هـ. كان والده قطب، متزوجاً بامرأتين. كانت أمُّه –فاطمة حسين عثمان– الزوجـة الثانيـة لوالده أنجبت ستة أبناء. ثلاثة بنين وثلاث بنات وهم: نفيسة، سـيد، أمينـة، محمد، حميدة وطفل لم يعش إلا بضعة أيام.

ولد سيّد بعد ثلاثة أعوام من ميلاد شقيقته نفيسة. ظل الابـن الوحيـد لوالديه طوال ثلاثة عشر عاماً، حتى رزقا محمداً في أبريـل عـام ١٩١٩م. ويعتقد أنّ أسرة سيد قطب هندية الأصل. هاجر جدّه السادس (عبد الله) واتّخذ بيتاً بجوار كعبة الله، ليعبد الله الذي جعل ﴿ **البيت مثابة للناس وأمناً** ﴾[٤]. ثم

---

(١) طه حسين من تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص ٣٧٥– ٣٧٦، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م، دار العلـم للملايين، بيروت

(٢) أحمد أمين، النقد الأدبي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٥

(٣) عبد الله عوض عبد الله الخياص، سيد قطب الأديب الناقد، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، مكتبة المنـار، الأردن، ص١٧

(٤) سورة البقرة، الآية ١٤٥

انتقل أحد ذريته إلى مصر، وسكن قرية (موشا) على شاطئ النيل. تزوج جدّه بها وتكاثرت الأسرة وامتدّت حتى أتت بوالد سيد قطب[١].

وعن سماته وملامحه يقول يوسف[٢]: "إنه حنطي اللون، أسمر البشرة، أجعد الشعر، في لسانه لُثْغة في الراء.

في ٢١ أغسطس عام ١٩٦٦م حُكِمَ عليه بالإعدام شنقاً. وتمّ تنفيذ الحكم في يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م بحَبْلِ المشنقة، إبّان حكم الرئيس جمال عبد الناصر.

أمّا نشأته، فقد عاش الأربعة عشر عاماً الأولى من حياته في قرية (موشا) تلك القرية الوادعة الخصبة من وادي النيل. بدأ تعليمه في الكُتّاب. ذهب إلى المدرسة الأولية. حفظ القرآن في سن مبكرة. كان واسع الاطلاع سريع الفهم، نشأ في بيئة قرويّة ساذجة. سذاجة في المعتقدات والمعاملات والأفراح والأحزان. هذه الحياة، وفّرت له مواد للتأمّل، بل كانت غذاءً لذهنه المتفتّح.

لم ينمح تأثيرها إلا في الأربعينيّات من عمره، بل تركت صوراً في وجدانه، ظهر وجهها في شعره في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيّات. هذه الصّور كانت تحرك ذهنه فيتساءل ويرتاب، حتى أصبح الارتياب والشك جزءاً وعنصراً هاماً في شخصيته وحياته.

كانت نشأته في كنف والديه، ومطالعته للقرآن، وروعة وجمال طبيعة القرية، لها أثرها الفعّال في غرس بذور الثقة والاعتزاز بالنفس. لقد تركت أثراً ثابتاً في شخصيته وأبعادها النفسية والفكرية فيما بعد.

وفي فترة أخرى من حياته، انتقل إلى القاهرة لمواصلة دراسته. واستقر به المقام في بيت خاله "أحمد حسين عثمان" الذي كان يشتغل بالصحافة والتدريس ويكتب في الصحف. فحياته في بيت خاله كانت عاملاً إيجابياً في بناء شاعريته.

---

(١) الكشميري، مرجع سابق، ص٢٩

(٢) يوسف العظم، رائد الفكر الإسلامي، ص ٧٣، ط١، ١٩٨٠م، دار القلم، دمشق، بيروت

في القاهرة دخل مدرسة عبد العزيز الأولية، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية. تأهل ليعمل مدرساً بالمدارس الأولية، ولكن هذا لم يشبع طموحه، فالتحق بتجهيزية دار العلوم، وهي المدرسة التي كانت تجهز الطلاب لدخول كلية دار العلوم. وفي عام ١٩٣٠م التحق بكلية دار العلوم ليتخرج فيها عام ١٩٣٣م، حاملاً شهادة الليسانس في الأدب مع الدبلوم في التربية قسم اللغة العربية. عمل مدرساً في وزارة المعارف عام ١٩٣٣م[١].

كانت هذه الفترة من حياته من أخصب فترات إنتاجه الشعري. نضجت مواهبه ولمعت شخصيته في ميدان الشعر.

وفي عام ١٩٤٠م عمل موظفاً بوزارة المعارف، وشارك في تأليف المناهج والمقرّرات المدرسية[٢]. وبدأ يكتب في المقالات السياسية ويهاجم الحكومة ومنشغلاً بالفكر الإسلامي. هنا بدأ عامل الضعف في إنتاجه الشعري يسري، فقضى حياته ما بين غربة وسجن، مناضلاً سياسياً من أجل الوطن، بفكره وأدبه، وأصدر العديد من المنشورات والإصدارات والمؤلفات.

جمال القرية وروعة طبيعتها كانا مصدراً من مصادر إلهامه الشّعر، والبيئة الساذجة في المعتقدات والخرافات كان مصدر ارتيابه وشكّه. حياته في القاهرة ومعاصرته للمدارس الأدبية وملازمته للعقاد وتخرجه في دار العلوم، كلها عوامل ساعدت في بناءِ سيد قطب شاعر الديوان.

---

(١) سيد قطب، طفل من القرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ص٢١٨، الكشميري، مرجع سابق، ص٦٥

(٢) الكشميري، مرجع سابق، ص ١٣٥

المطلب الثالث: مراحل نظم الشعر عنده:

بدأ يقرض الشعر طفلاً صغيراً، لم يتجاوز العاشرة من عمره. كان يرسل كلماتٍ متهالكة ليست بشعرٍ. لذا يمكن القول بأنه بدأ النّظم الشعري عبر مراحل نستعرضها في الآتي:

مرحلة الهواية ١٩٢١ – ١٩٢٤م:

مرحلة بلغ فيها من العمر خمسة عشر عاماً. أصدر خلالها محاولات شعرية لم تتعدّ مرحلة الهواية. نظم أوّل قصيدة في عام ١٩٢١م، إنتابها نوع من الخطأ اللغوي والسذاجة.

مرحلة التحوّل (١٩٢٥ – ١٩٢٨م):

مرحلة تحوّل فيها الشاعر من الهواية إلى النّظم عن فهم وإدراك. كانت قصائده في هذه المرحلة غير متصلة ولا كثيرة. ألّف قصيدة بعنوان (وردة ذابلة)[١] في عام ١٩٢٥م. تعتبر أوّل قصيدة في محراب الشعر لسيد قطب تقول كلماتها:

بحر الرّمل

قد تولّت وذوت نُضْرتها * وبدت كالميت المُحْتَضرِ
تفتحُ الأجفان أو تغمضها * فتحةَ الضّعفِ وغَمْضَ الخَوَرِ
وشذاها لم يذل يُفْعِمُني * فيعيدُ الشّجْوَ لي بالذّكر

واستمر ينظم الشعر بهذا الفهم والإدراك. فألّف قصيدة أخرى بعنوان (العُودَ) [٢] عام ١٩٢٧م، فيها وصف جميل للعود. نقول بعض كلماتها:

بحر البسيط

مُحلِّل القَلْبِ أنغاماً وألحانا * وملهم الوحي أسراراً وإعلانا
وموقظ النَّفْس إن طافت بها سنةٌ * وأنت تهمس بالأنغام وسنانا
ومطلق الروح تسمو في معارجها * وتطرق العالم العُلْوي أحيانا

---

(١) وردة ذابلة: الديوان، ص ٢٢٧

(٢) العود: الديوان، ص ٢٢٨

حصيلة هذه المرحلة تسع قصائد. من أجمل قصائده في هذه المرحلة قصيدة بعنوان (سعادة الشعراء)[١].

بحر الكامل

الناس تقنع بالحياة وترتضي * منها محاسن شوّهت بمثالب
والشاعرون تؤزهم أدرانها * يبغونها لم تمتزج بشوائب
حسّ أرق من الأثير يهيجه * ما قد تمرّ عليه مرّ اللاعب

وكتب مرثية، رثا فيها سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م، التي اندلعت في طول البلاد وعرضها. كان دافعه إفراغ نفسه من لواعجَ لا شفاءَ منها إلا بالبكاء على الزعيم الراحل. لا انكساراً ولا ضعفاً أمام الموت، بل تصميم على السير في دربه. تقول بعض كلماتها:

مجزوء الكامل

مات الزعيم ولم تزل * آثاره تحيي الجنود[٢]
ومضى شهيداً طاهراً * يا نعم ذيّاك الشهيد
هو علّم الشعب الجهاد * وأيقظ القوم الرّقود

مرحلة النضج: ١٩٢٩ – ١٩٣٤م:

هذه الفترة انتظم سيد قطب في دار العلوم فاتسعت ثقافته، وبدأت قريحته الشعرية تجود بقصائد متصلة. وهي أكثر فترة نظم فيها شعراً. امتازت قصائده في هذه الفترة بقوة التعبير، وجزالة اللفظ، وسلامة الأسلوب، حصيلة هذه المرحلة سبعون قصيدة. من قصائد هذه الفترة قصيدة بعنوان: (عزلة في ثورة). نختار منها الأبيات الآتية:

أترى أحيا بروح لا تحس * وفؤاد ليس يدري ما الشعور[٣]
أكتم الأنفاس أن جالت بحسّ * ثم أبقى صخرة بين الصخور

---

(١) سعادة الشعراء: الديوان، ص ٥٣
(٢) وحي الخلود، الديوان، ص ٢٥٥
(٣) عزله في ثورة: الديوان، ص ٣٩

إن نفساً ليس ترضى أي نفــس * تقبل العيش كسكان القبور[١].

الصورة العامة التي رسمها الشاعر، تعبّر عن نفس ثــائرة، متمــردة، يسأل النفس ويأبى الخضوع لها. صراعٌ مع النفس، وفؤادٌ يتلظــى، وحــزنٌ عميق، ونفسٌ ظامئةٌ تتوق لمعرفة الحقيقة الكونية.

مرحلة الخمول (١٩٣٥ – ١٩٤٠م):

اتّجه الشاعر نحو الفنون الأخرى. وأخذ يهتم بالفكر الإسلامي والــنهج السياسي على حساب الشعر. أصدر العديد من الكتب والنشرات والإصدارات. بدأ إنتاجه الشعري يضمحل ويخمل. من قصائده في هــذه الفتــرة، قصــيدة بعنوان (وحي جديد)[٢]. نختار الأبيات الآتية:

مجزوء الكامل

فـــــي خفـــــه الطيـــــر * فـــي نضـــرة الزهـــر[٣]

لاقيتهـــــــا عرضـــــــاً * بســـــــامة الثغـــــــر

فتانـــــــة تُعـــــــرِى * بالســـــــحر والطهـــــــر

حصيلة هذه الفترة بلغت سبع عشرة قصيدة.

مرحلة هجر الشعر ١٩٤١ – ١٩٦٦م:

شهدت هذه الفترة ركوداً عاماً في شعره، وأصبح إنتاجــه يتنــاقص؛ وذلك لانشغاله بالسياسة، والصراع مع الدولة والحكومات ضد الظلــم. أنــتج عشرين قصيدة حتى عام ١٩٤٥م. وفي الفتــرة مــن ١٩٤٦م حتــى وفاتــه ١٩٦٦م، أنتج قصيدتين فقط إبّان وجوده في أمريكا، وقصيدتين أُخريين إبــان فترة سجنه. قضى أغلب هذه الفترة إمّا في غربة، وإمّا مصارعاً الدولة وإمــا معتقلاً. من قصائده في هذه الفترة، قصيدة بعنوان "أخي".

---

(١) هذه الأبيات من شواذ بحر الرمل لمجيئها بعروض صحيحة، (فاعلاتن) وضرب صحيح مثلها

(٢) وحي جديد: الديوان، ص ٢١١

(٣) من شواذ مجزوء الكامل الضرب المضمر المحذوف

بحر المتقارب

أخي أنت حــرّ وراء الســدود * أخي أنت حر بتلك القيــود[1]

إذا كنـــت بـــالله مستعصـــماً * فماذا يضــيرك كيــد العبيــد

هذه مراحل نظمه لقصائد ديوانه: وهي تبدو منطقية في تدرّجها، مــن مرحلة الهواية إلى مرحلة النُّضج. ثم بدأت فــي عــدّها التنــازلي بمرحلــة الخمول، ثم الهجر النهائي للشعر.

(١) أخي: ديوان سيد قطب، ص ٢٩١

المبحث الثاني
المؤثرات العامة في شعره

المطلب الأول: تأثره بالعقَّاد:

لقد عرف سيد قطب الأديب العربي الكبير عباس محمود العقّاد، عن طريق خاله أحمد حسين عثمان الذي كان صديقاً للعقاد. وغدا سيد قطب تلميذاً للمدرسة العقادية (الديوان). وأصبح يخوض المعارك ضد خصوم العقاد.

استفاد سيد قطب كثيراً من المدرسة العقادية، كان يجالس العقّاد بل يشاركه في مجالسه الخاصة والعامة في الأدب والنقد. أصبح لسيد قطب صلة وثيقة بمكتبة العقاد. تأثر بالعقاد وتعلّق به كثيراً لدرجة أنه عارض الدكتور طه حسين، حين أطلق لقب أمير الشعراء على العقاد بعد وفاة أحمد شوقي. لقد رأى سيد قطب أن هذا اللقب لا يلائم عظمة العقاد ولا يكفي اعترافاً بجلالة قدره. لم يقف سيد قطب عند هذا الحد في رفع درجة ومنزلة العقاد، بل تعدّى إلى حدود الأدب العالمي، ووضع أستاذه قمةً شامخة يعجز الشعراء والكُتاب العالميون أمثال بيرون، الفريد دي موسيه، وفيكتور هوجو أن يبلغوها(١).

إن تأكيد تأثر سيد قطب بالعقاد واضحٌ في ديوانه. وذلك التزامه بالبحر العروضي في بعض قصائده والتزامه بالتجديد في القوافي. وعدم التزامه بالقافية الواحدة. وهذه دعوة العقاد، التي تنادي بتجديد القوافي في الشعر العربي.

كان أكثر حماسة للعقاد، ممتزجاً بفكره وأدبه. وضح ذلك في ديوانه، خاصة من ناحية أسلوبه وأفكاره وعاطفته رغم اعتراف سيد قطب بدور العقاد في تثقيفه وبناء شخصيته، إلا أن له عناصر أساسية مكوِّنة لشخصيته الأدبية. كانت له نزعة استقلالية عن أستاذه. ترى بعض قصائده تقترب في

---

(١) سيد قطب، بين العقاد والرافعي، مجلة الرسالة، ٢٥ أبريل ١٩٣٨م، العدد ٢٥١

بنائها وشكلها الفني من الموشحات الأندلسية. "دافع ومدح شعر العقاد كثيراً، وتارة أخرى ينقده في بعض مواقفه الفكرية والأدبية"(١).

تأثر سيد قطب بالجوّ الأدبي في بيت العقّاد، حيث وجد عدداً معلوماً من أهل الذوق الأدبي والعلمي في الأدب والفن، ورغم أن مكتبة العقاد كانت أكثر جاذبية لسيد قطب، التي كانت تضم بين رفوفها عدداً ضخماً من الكتب في شتى حقول المعرفة ومجالات الثقافة(٢)، إلا أن سيد قطب مرّ بمرحلة ارتياب في الحقائق الدينية، ووجد أن العقاد أديب العقلانية والعقل المجرّد المجدب، ولا مجال له في العالم الروحي المطلق وآفاقه الفسيحة، وتوسعت أبعاد الفجوة والهوّة بينهما عندما التحق سيد قطب بحركة الإخوان المسلمين. لأن العقاد الذي كان ينتمي إلى حزب الوفد دائم التهجم على الإخوان، ولم يكن يهاجمهم وينتقدهم فحسب، بل كان ينبِّذهم ومرشدهم حسن البناء بالمهاترة والألفاظ الوضيعة. وأصبح هذا العامل الجديد سبباً للافتراق بين التلميذ (سيد قطب) وبين أستاذه (العقاد)، الذي عاش في خلاله حوالي ربع قرن.

الافتراق لم يَمحُ تأثر سيد قطب بالعقاد. لأن العلاقة كانت أكبر من ذلك. فالعقاد هو الذي أخذ بيد سيد قطب وأرشده إلى ميدان الصحافة وفتح له أبواب الصّحف والمجلاّت التي كان يشرف عليها، أو كان له يد في أعمالها وإدارتها. وقد أحسن سيد كتابة المقالات والقصائد رغم حداثته في الميدان وكان يتنبأ بظهوره كأديب بارز، وناقد مقتدر، ولقد صرح الأستاذ العقاد قائلاً: "سيكون سيد قطب أعظم كاتب وأديب بين المعاصرين"(٣). وبعد أن برز سيد قطب كمؤلف ومفكر عملاق وأديب ساطع وذاع صيته في أنحاء العالم، أصبح العقاد يعتز به ويفتخر بتلميذه ويثني عليه ويمدحه ويشيد به في مجالسه الخاصة.

---

(١) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ص٦٩

(٢) الخباص، ص٩٨- ١١٦

(٣) الكشميري، مرجع سابق، ص٨٥

لبيان أثر العقاد في شعر سيد قطب وأثر الأفكار والمعاني والنزوع الفلسفي نختار قصيدة (عبث الجمال).

بحر الطويل[١]

دعيها تغردْ لحنها وتُرجِّع * وتَمرحُ ماشاءت وتلهو وتَرتعُ[٢]
دعيها تنمِّقْ للحياة تحيّة * وتبعثُها لحناً تلذُّ ويُمتعُ
عزيزٌ عليها عشها درجت به * فراخاً نحيلات تهمُّ فتقعد
يطالعها روح الربيع فتنتشي * ويَدهمها قرّ الشتاء فتجمد
ويا طالما غنت ويا طالما بكتْ * سروراً بقرب أو حنيناً إلى ذكرى
وكم ليلة مرّت وكم أشرق الضحى * وكم أملَّت خيراً وكم حذرت شراً
وقاك الجمال السمح كلّ ملامةٍ * وعتب فلا تخشى مقالة لائم
ولكنها الأطيار تلهو بريئة * فما بالها تُدْهي بفعلةِ ظالمِ

إذا كان الوزن هو الإطار الخارجي للشعر أو الشكل، فالعاطفة والوجدان هما روح وجوهر الشعر[٣] أو هما مضمون الشعر. لذا كان العقاد والمازني وميخائيل نعيمه يدعون إلى وجدانية الشعر. فقصيدة عبث الجمال وأخريات فيها عاطفة ينساق وراءها القارئ متلذذاً بقراءتها.

---

(١) الأبيات من بحر الطويل، عروضي مقبوضة وضرب مقبوض، وجاء البيت الخامس والسادس من الطويل الأول حيث جاء الضرب صحيحاً. وهذا أيضاً من أثر المدرسة العقادية (الديوان)

(٢) عبث الجمال: الديوان، ص ٢٣٦

(٣) عثمان وافي: دراسات في النقد الأدبي الحديث، الجزء الثاني، الإسكندرية، ٢٨-٣١

المطلب الثاني: تأثره بالريف:

عاش سيد قطب حياةً ريفيةً وهو في سن الطفولة. ولقد كانت للتّقاليد الرِّيفية وعادات القرويين أثر كبير على تطور سيد قطب الذهني. ومن أهم الجوانب المتمثلة في هذه التقاليد والعادات، هي تلك المعتقدات الخرافية والتصورات الأسطورية. وخاصة عقائدهم عن العفاريت والمجاذيب والتي يصوّرها سيد قطب قائلاً: "هذا الرجل المشعث الشعر الممزّق الثياب العاري أحياناً من كل ما يستر الجسد، المنطلق في شوارع القرية وطرقاتها، وفي يده عصا ينال بها كل شيءٍ وكل واحد، وهو يرسل همهمة مختلفة مخيفة، أو قهقهة في صوت عال مرهوب..!" وكان الرجل (المجذوب) يمزق ثيابه تمزيقاً ثم يتمرغ في الوحل أو يهيل على رأسه التراب وعلى جسده العاري، حتى يكتسي أديمه من التراب والوحل ثوباً آخر غير الثوب الممزق المخلوع[1] ومعتقدات أخرى لا تحصى كالقطط والأرانب التي تظهر عفاريت، حين يجنُّ الليل. ومعرفة الحظوظ، والأعمال السحرية التي ليس لها أساس ديني. كلها أُسست على الأساطير والروايات التقليدية التي تنتقل من جيل إلى جيل في غمار الجهالة الريفية.

كان أثر النشأة في هذه البيئة الخرافية لوناً من ألوان التّيه الخرافي. وكان سبباً للارتياب والشك. وظل الارتياب يتوسع في مجاله ومداه حتى كاد يهدد إيمانه في الحقائق الدينية. ولكن الله أخذ بيده وحفظه حين أقبل على قراءة القرآن تلاوة وحفظاً، فتدرج به إلى الإيمان والطمأنينة الشاملة[2].

وهناك عامل إيجابي لحياة الريف، إذ كان سيد قطب يشعر بالاعتزاز أمام أطفال القرية لموقف والده المرموق عند القرويين. وكان والده محافظاً دوماً على المظهر العام لأسرته. وكانت أمّه لم تكن أقل من والده. كانت أمُّاً بارة تقيّةً متديّنة ومستنيرة إلى مآلٍ أقصى لو قيست بنساء القرية. هذه التربية الأولى في القرية لها أثرها الواضح في صياغة شخصية سيد قطب فيما بعد.

---

(١) سيد قطب، طفل من القرية، ص ٩ -١٠

(٢) الكشميري، ص ٣٠- ٤١

ومن المواقف الإيجابية الأخرى، موقف العمال الذين يأتون من قرى "قنا" و "أسوان". لقد كان منزل والد سيد قطب داراً لهؤلاء العمال. وكان سيد قطب صديقاً حميماً لهم يخالطهم، ويسمع أحوالهم ويكتب رسائلهم، ويسحر بأغانيهم ومواويلهم ويكثر من إنشادها[١].

لهذا يمكن القول بأن حياة القرية كانت إضافة حقيقية في صيانة موهبته الشعرية وشخصيته الأدبية. وذلك لأن الريف كان يمثل مظهراً من مظاهر عشق الماضي للشاعر سيد قطب. أثر القرية واضح في شعره، وذلك من خلال قصائده الثلاثة: (ليلات في الريف)، (العودة إلى الريف) و (الليلات المبعوثة).

نظم هذه القصائد في القاهرة. حنيناً إلى قريته، حيث طفولته وذكرياته الحسان، ولياليه الملاح. فالشاعر كغيره من الشعراء الرومانسيين يشعر بغربة في المدينة. لأن المدينة عندهم رمزٌ للشر بينما القرية رمزٌ للخير. ذكر في قصيدته (ليلات في الريف)[٢] الأبيات الآتية:

يا جمالا بريفِ مِصْرَ قريراً * هادئ البال في خُشوعٍ وقُورِ
لستُ أنسى لياليَا فيك مرّتْ * هنّ أطيافُ عهْدنا المأثُورِ[٣]
حين نَسْرِي والبدر ينْشُرُ ضوءاً * فوقَ سهلٍ كالعيلمِ المسجُورِ[٤]

وجاء في قصيدة (الليلات المبعوثة) ما يلي:

أنتِ ليلاتُنا فَقُصِّي علينا * كيف أَفْلَتِّ من زمانِ القيودِ؟[٥]
ها هُنا كنتُ منذُ عام! ولكن * يالنفسي! فهاهُنا أيّ عامِ؟
ما أرى للزمانِ رسماً! فهذا * كلُّ شيءٍ هُنا كرمزِ الدَّوامِ

---

(١) انظر إلى قصته طفل من القرية (١٣٠-١٣٦) من هذا البحث

(٢) البلات في الرتب، الديوان، ص ٨٧

(٣) جاء البيت الثاني والثالث مشعثاً والتشعيث أكثر ما يكون إذا كان الضرب مردفاً

(٤) العيلم المسجور: البحر المملوء

(٥) اللبلات المبعوثة: عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٨٧

وجاء في قصيدة (العودة إلى الريف) هذه الأبيات[١]:

بحر الكامل

مَهْدَ الرّجاءِ ومَهْـبِطَ الأحــلام * وطَني عليك تَحيّتــي وســلامي
يا ريف فيك من الخلود أثَارَةٌ[٢] * تنسابُ في خَلَدِي[٤] وفي أوْهامي
وترد إحساسي إليك إذا خلــت * نفســي إلــى الآمــالِ والآلام
إني فقدتك في الطفولة غــافلاً * عمّا حويت من الوجود السَّامي[٥]
لكن وجدتُك إذ كبرتُ بخاطري * رمزاً أُحــيطَ بغمــرةِ الإبهــامِ[٦]
وتكشّفتْ نفسي فلُحــتُ كأنمــا * نفسي وأنْــتَ جُمِعْتمــا بتُــؤام[٧]

أبيات مليئة بالعاطفة. العاطفة القوية والعاطفة المصــورة للقصــيدة، والوزن المناسب لتلك العواطف، وجاء التناسب في أبيات تلك القصائد. كــان ذلك أثر الحياة الريفية في شعره. أثر ذلك المهد الطبيعــي وتلــك المشــاهد الخلابة التي ترعرع في حضنها فتفتّحت مشاعره وحواسه والتهم أسرار ذلك الجمال الطبيعي وارتسخت الصور الساحرة والذكريات المتناغمة في ذهنــه. فكانت النتيجة هذه العاطفة، وهذا التصوير الحي، وهــذا الــوزن المناســب، والتناسب في أبيات القصائد.

---

(١) العودة أي الريف، عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٨٥

(٢) أثارة: بقية (٤) خلدي: عقلي (٥) غادر الشاعر الريف صبياً (٦) الإبهــام (٧) بِتُــؤامَ: التــوام: الصدف: التُّوامية: الدُّرّةُ

المطلب الثالث: أثر السجن في شعره:

تداخلت في شخصيته سيد قطب مزايا مختلفة. فهو مفكر إسلامي وسياسي وشاعر لبق. كان ضمن مؤسسي حزب الوفد المصري. ناضل ضد الاستعمار، وضد الظلم. عادى الحكومات وانتقد سياساتها. وصل في الخمسينيات ذروة عراكه السياسي مع الدولة. فزجّ به في السجن مرات عديدة. لا يكاد يخرج من معتقل حتى يعود مرة أخرى إلى السجن معتقلاً. قضى سنوات عديدة ما بين (١٩٥٣ – ١٩٦٦م) في السجن. هذه الفترة كان لها تأثيرها على مجرى شعره. لقد قلّ إنتاجه الشعري، إلا أنّه نظم أشهر قصائده سجيناً.

نظم قصيدتيه (هبل هبل) و "أخي" اللتين عبَّرتَا عن الوطن والثورة والكفاح ورد المظالم. في قصيدته (هبل هبل) صورٌ لحالة الشعب الخاضع للطاغوت السياسي الحاكم وهو يقودهم كالأغنام والشّياه. وصوّر فيها الحاكم المستبد صنماً كصنم الجاهلية (هبل). كانت هذه زفرات حرّة أطلقها وهو في سجنه؛ ليعبر عمّا يجيش به من حزن وألم، معلناً موقفه بشجاعة تجاه من سجنوه في تهكم وسخرية بالغة. فالقصيدة عبارة عن عاطفة قوية وشعور صادق لوطنه وأهله. جاء فيها ما يلي:

شعر حر[١]

هبل .. هبل[٢]

رمز السخافة والجهالة والدّجل

لا تسألن يا صاحبي تلك الجموع

لمن التعبد والمثوبة والخضوع

دعها فما هي غير خرفان القطيع

معبودها صنم يراه.. العم سام

---

(١) الشعر الحر أو شعر التفعيلة هو نوع من الشعر الحديث يقوم في نظامه العروضي على الأمور التالية: وحدة التفعيلة، الحرية في عدد التفعيلات، حرية الروى والقافية. خضوع الموسيقى للحالة النفسية التي تصدر من الشاعر، لا للوزن الشعري الخليلي الذي يفرض نظاماً ثابتاً من الإيقاع والنظم

(٢) هبل هبل: عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٢٨٩

يبدو أثر السجن واضحاً من خلال كلماتها والتعبير عنها بكلمات ولغة دارجة، ممّا أفقد القصيدة ميزات شعرية أخرى. ولكنها تعتبر من أفضل نماذج السخرية في شعره[١].

أما قصيدة "أخي" فهي من روائع شعر الدّعوة الإسلامية. فعلى حدّ ما ورد في كتاب "شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث" إن سيد قطب كان يتجول يوماً في ساحة السجن، فوجد أحد الإخوان المسجونين يلوح إليه بيده من شبكة الزنزانة تحية منه. فتأثر سيد بهذا الموقف. موقف ضرب على أوتار قلبه فانفجرت عين الشعر وجادت قريحته بقصيدة "أخي".

من المتقارب

أخي أنت حر وراء السدود * أخي أنت حر بتلك القيود[٢]
إذا كنت بالله مستعصماً * فماذا يضيرك كيد العبيد
أخي ستبيد جوش الظلام * ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروحك إشراقها * ترى الفجر يرمقنا من بعيد

لقد تجمعت في هذه القصيدة محاسن سيد قطب الشعرية بصورة وافية وافرة. إنها ليست من عيون الشعر العربي فحسب؛ بل إنها من روائع شعر الدعوة، إنها ليست مرآة ما جرى على قلب الشاعر ووعيه ووجدانه؛ بل إنها نعرة من نعرات الدعوة، وأنشودة تحرك القلب وتصفي الضمير، لا لإثارة النفوس والتحريض على الجهاد فقط، بل لتنوير السبيل ولتوضيح معالمه ولبيان عقباته، ولتذكير عزيمة سالكي سبيل الله السابقين وما يلقونه من تحية ونعماء عند ربهم الكريم المقتدر في دار الجزاء.

هذه القصيدة رائجة بين الأوساط الحركية كأحب الأناشيد ولقد تعرض لها عدد من شعراء الدعوة الإسلامية بقصائدهم وقرضوا على منوالها. منها قصيدة يوسف العظم التي مطلها:

---

(١) الكشميري، مرجع سابق، ص٢١٤

(٢) أخي، الديوان، ص ٢٩١

من المتقارب

أخي من رُبى الأردن الصـــابر * ومن حرم المقــدس الطـــاهر
ابثـــك شـــوقاً وبشـــرى غـــدٍ * كريم مـــن الخـــالق القـــادر

ومنها قصيدة وليد الأعظمي ومطلعها:

من المتقارب

أخي يـــا قيمـــاً وراء الســـدود * تلوح بوجهك سيما الســـجود
فمهما أعدّ العـــدى مـــن قيـــودٍ * فلن نســـتكين لحكـــم العبيـــد

وكذلك قصيدة الشاعر يونس مصطفى والتي مطلعها:

من المتقارب

أخي سوف تبكي عليك العيـــون * وتسأل عنك دمـــوع المئـــين
فإن جفّ دمعي سيبكي الغمـــام * ويرفع قبـــرك بالياســـمين[1]

تحدث سيد قطب عن صمود شعبه وتضحياته بأسلوب قوي في البنـــاء والصياغة. وذلك لتأثّرِهِ بالسجن والسّجّان.

(١) الكشميري، ص٢١٦

المطلب الرابع: أثر الغربة في شعر:

يتأثر الناس جميعهم حيثما يعيشون غربةً، وخاصة الشعراء أصحاب الإحساس الدّافق المرهف. لقد اكتوى سيد قطب بنار الغربة، وذلك عندما ضاقت به حكومة الملك فاروق، وأمرت بإبعاده إلى أمريكا عام ١٩٤٨م. في الغربة أتيحت له دراسة المجتمع الأمريكي والحضارة المادية الرأسمالية عن كثب. هذه الدراسة وسعت ذهنه وتحمس للإسلام والحياة الإسلامية. وكان منطلق حياته الجديدة ونقطة تحول لفكره ومنهجه العلمي. وقد أشار سيد قطب إلى هذا في كتابه (معالم في الطريق) حيث قال: "بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا –نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام– في أمريكا في السنوات التي قضيتها هناك وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير.. وكنت على العكس اتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية.. سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة، أو في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية[١]..

الغربة في الولايات المتحدة كانت منعطفاً وتحولاً لفكره وأدبه. بدأ التريث والاستقرار في شخصيته الأدبية وفكره وتصوّراته، وبدأ يؤمن بالأدب الذي ينبثق من واقع الحياة والعقيدة والعواطف الصادقة. جاء في رسالةٍ إلى أخته أمينة قطب: "إن المبادئ والأفكار في ذاتها –بلا عقيدة دافعة– مجرّد كلمات خاوية أو على الأكثر معانٍ ميتة! والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشعة من قلب إنسان! لن يؤمن الآخرون بمبدأ أو فكرة تنبت في ذهن بارد لا في قلب مشع...".

من أهم ما تمخّضت عنه هذه الغربة انخراطه في حركة الأخوان المسلمين. جاء هذا الانخراط كثورة في شخصيته. تغيرت وجهة نظره في الحياة. وتغيرت نشاطاته واهتماماته. تغيّر أدبه وفكره وتغير منهجه وسلوكه بل تغيرت حياته كلها ونهجها برمته[٢].

---

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص ٢٥

(٢) الكشميري، مرجع سابق، ص١٣٦

ومن أهم آثار هذه الغربة على شعره هو انبعاث مشاعر الحبّ والحنين إلى الوطن فقد أضناه وأقلقه البعد فشحذ عواطفه وانفجر ينبوع الشعر فقرض شعراً مليحاً بالعواطف المثيرة، وبذا أضاف باباً جديداً إلى الشعر العربي في المهجر الأمريكي، فلنصغ إلى صرخته (دعاء غريب)[١] جاء فيها:

مجزوء المجتث[٢]

يـــا نائبـــات الضّـــفاف * هنـــا فتـــاك الحبيـــبْ
عليـــه طـــال المطـــاف * متـــى يعـــود الغريـــبْ
متـــى تَمُـــسُّ خطـــاه * ذاك الأديـــم المقبّـــرْ
حتـــى يشـــم شـــذاه * كـــالأقحوان المعطّـــرْ
حتـــى تـــرى عينـــاه * تلـــك الربـــوع المواثـــل
أحلامـــــه ومنـــــاه * تـــدعوه خلـــف الحوائـــلْ[٣]

عاطفة قوية، وقوافٍ متعددة. ينتقل من القافية المقيدة المردفة إلى المقيدة المجردة إلى المقيدة المؤسسة. لم يلتزم بروي واحد. كل بيتين بحرف روى واحد. عروض مشعّثه. العروضيون لا يجيزون التشعيث في العروض إلا عند التصريع. انظر إلى هذه الأبيات من نفس القصيدة[٤]:

متـــى تـــرى عينـــاهُ * تلـــك الربـــوع المواثـــلْ
فـــي عـــالم مســـحور * مُوسَّـــعٌ بالأغـــاني

وقد نظم قصيدة أخرى في كليفورنيا بعنوان (هتـاف روح)[٥] تقـول بعض كلماتها:

---

(١) دعاء غريب، عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ١٠٠

(٢) بحر المجتث: لا يأتي إلا مجزوءاً

(٣) الحوائل: المرتع

(٤) العروض مشعثة. مفْعولن والضرب سالم فاعلاتن

(٥) هتاف الروح: الديوان، ص٩٩

من مجزوء المجتث

في النَّفْس يـــا مِصْـــرُ شـــوقٌ * لخَطْـــــرةٍ فـــــي رُبَـــــاكِ
لِضَـــــمَّةٍ مِـــــنْ ثـــــراك * لنفحـــــةٍ مِـــــنْ هَـــــواكِ
لوْمضـــــةٍ مِـــــنْ سَـــــماكِ * لِهَـــــاتفٍ مـــــن رُؤاكِ
لليلـــــةٍ فيـــــك أُخْـــــرَى * مـــــع الرَّفـــــاق هُنـــــاك
ظمـــــآنُ تهتـــــفُ رُوحـــــي * حتـــــى تَرانـــــي أراكِ

يحن الشاعر إلى وطنه مِصْرَ بروح متعبة، أكتوت بنار الغربة. وشوقه لليالي مصر وأمسياتها يملأُ قلبه. فهو الظمآن المنتظر ساعة العودة ليبدأ حياة وأدباً وشعراً جديداً.

الفصل الثاني

قصائد الديوان واتجاهاتها الشعرية

- ❖ المبحث الأول: قصائد التمرد وتحليلها
- ❖ المبحث الثاني: قصائد الشكوى وتحليلها
- ❖ المبحث الثالث: قصائد الحنين وتحليلها
- ❖ المبحث الرابع: قصائد التأمل وتحليلها
- ❖ المبحث الخامس: قصائد الغزل وتحليلها
- ❖ المبحث السادس: قصائد الوصف وتحليلها
- ❖ المبحث السابع: قصائد الرثاء وتحليلها
- ❖ المبحث الثامن: القصائد الوطنية وتحليلها
- ❖ المبحث التاسع: قصائد الالتزام الإسلامي وتحليلها
- ❖ المبحث العاشر: الإحصائية العامة وتحليلها
- ❖ الإحصائية الزمنية وتحليلها

الفصل الثاني
قصائد الديوان وموضوعاتها الشعرية

المبحث الأول: قصائد تمرد واضطراب:

تمرّد على الناس إذا عتا عليهم، وبلغ غاية يخرج بها من جملتهم. ولكن الشاعر سيد قطب لم يتمرد على أحد، بل نفسه كانت شخصية متمردة على الحياة والكون. عبّر عن نفسه شعراً. قصائده في التمرد زفرات جامحة في داخله. تألّم وتوجّع وشكا في ألم مرير. لم يستطع حبسها داخل نفسه. تارة مضطرباً خائفاً نتيجة ذلك الإحساس العميق. يطلق دمعاته باكياً بكلمات شعرية تجسد لك مبلغ الأسى والألم الذي يعيش في دواخله. وتارة أخرى يعيش الشاعر عزلة ، منطوياً على نفسه، فينفجر ينبوع الشعر في ثورة هائجة وكلمات قوية ثائرة ذات دلالات واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

إحصائية القصائد(١)

العدد	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	الصفحة
١	عزلة في ثورة	٣٩	٢٩
٢	اضطراب خائف	٢٦	٤٢
٣	زفرات جامحة مكبوحة	١٩	٤٤
٤	عاشق المحال	١٤	٤٦
٥	حلم قديم	١٦	٤٨
٦	بعد الأوان	٢٠	٤٩

الشاعر سيد قطب عاش فترة كان الصراع شديداً بين القديم والحديث. وكان تلميذاً للعقاد الذي كان ينادي بالتجديد. يظهر أن سيد قطب كان يعاني آلاماً مرّة تنطق بها عناوين قصائده (عزلة في ثورة، اضطراب خانق، زفرات جامحة مكبوحة...). هذه القصائد، أنشأ معظمها في بداية مشواره الأدبي عام ١٩٢٩م. فيها تمرد صارخ مكبوت. هذه الآلام والعواطف

(١) القصائد من الديوان، ص ٣٩-٥٠

المكبوتة، الشعورية منها أو اللا شعورية هي التي دفعت سيد قطب للبحث عن المفقود وعن سر الحياة ولغزها المحيّر، هذه القصائد تحكي عن عوالمه الداخلية. نسمع إليه وهو يقول:

إن نفسي ليس ترضى أيّ نفس * تقبل العيش كسكان القبور

فقصائد التمرد تَنِمُّ عن تعبير راقٍ وأسلوب متمكنٍ إلا أنها أيضاً تنم عن ضيق من الحياة والتأسي، أحياءً كانوا أم أمواتاً. صراع مرير مع النفس، فهو لا يرى في هذا الكون سوى حشرات تعبث بجمال الكون. أودع هذا الإحساس في قصيدته اضطراب خانق، حين قال[١]:

أأناساً أرى أم حشرات * شوّهت من طَلْعة الكون الجميل
يشبهون الناس في تلك السمات * بينما أنفسهم رجسٌ يسيل
حقروا الكون وأغراض الحياة * حسبوها دنساً في دنس
وصغارا ليس يرضاه إله * وَهَبَ الأرواحَ نورُ القيس[٢]

فالشاعر في تمرده هذا، يبحث عن نفسه في كل مكان، يسأل العالم من حوله من أنا؟ لا يدري أيعيش بروح لا تحس أم بفؤاد لا يدري ما الشعور؟ أيعيش كالجماد بين هذه الأحياء؟ لا، لا يرضى الشاعر بهذه الحياة. يبدو أن هذه هي بداية نقطة انطلاقة نحو حياة أفضل عامرة بالإيمان والطمأنينة. نسمع إليه يقول في قصيدته (عزلة في ثورة):

حدّثيني أنت يا نفسي فما * أفهم العالم أو يفهمني
أترى أحيا بروح لا تحس * وفؤاد ليس يدري ما الشعور
أكتم الأنفاس إن جالت بحس * ثم أَبْقى صخرةً بين الصخور

إذا كانت اللغة هي المادة الأولى للفكر[٣]، فقد تحولت وأصبحت اللغة جزءاً من فكره. فقصائد هذا الاتجاه كانت نتيجة حتمية لتلك الزفرات الجامحة والألم والتوجع الكامن في دواخله. كلماتها ليست بمعناها النمطي، بل كلمات

---

(١) اضطراب خانق، عبد الباقي، الديوان، ص ٤٢

(٢) نور القيس. القيس: النار أو شعلة منها

(٣) د. أحمد نعيم الكراعين وآخرون، نصوص ودراسات أدبية، منشورات جامعة صنعاء، ص٢٣٥

تغذي الوضع الانفعالي الذي يعانيه الشاعر. فقد كان الإيحاء والخيال والوجدان عوناً في بث الألفاظ التي تحمل معانيه لاستشفاف ما خلف الأشياء.

تسمع إليه في قصيدته (زفرات جامحة مكبوحة)[١]. وهي من أجمل ما قاله في هذا الاتجاه (التمرد) وذلك حين قال:

بحر الكامل

اذهبْ وخلِّفْنِي هنا متألِّماً * لا تلْقني سمحاً ولا مُتجهِّما
اذهب وخلفني تذوبُ حُشاشتي * ويبضُّ[٢] قلبي من قرارته دما
اذهب فلن أشكو إليكَ عواطفي * يوماً ولن ألقاكَ إلا أبكما
أرخصتَ حبي إذ بَتَتُّكَ بعضَه * فلْيبْقَ مكبوحاً إذنْ فتكتَّما
إن كان بثُّ الحبِّ عندك مأْثماً * فكذاك عندي سوف يغدو مأثما

* * *

اذهب وفي نفسي لبعدك حسرةٌ * والعيشُ بَعْدك صار صلباً علقما
سأنام مهموماً وأصحوا حائراً * وأهيم في وادي الأسى متألِّما
ويُخيّم البؤس المُمِضُّ[٣] فلا أرى * إلاَّ شقاءً في الحياة مخيِّما
لكن سأكتم ما تُكِنُّ جوانحي * وأعيشُ مكبوحَ الجَوى[٤] مُسْتَسْلِمَا

* * *

واويلتاه لقد أهنْتُ عواطفي * وحسبتها عبثاً يمجُّ[٥] مذمما
وأراك تأبى أن أكون متابعاً * لك في الغدو وفي الرواح ميمما
لك ما تشاء، فما أطيقُ تبذُّلاً * مني ولست أطيق منك تبرما
لك ما تشاء، فلن أرى متنائياً * عني فأرجو عطفه مسترحما
وإذا شكوتُ فللسماء سأشْتكِي * ألمي وأبدو صابراً متبسما

---

(١) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٤٤– ٤٥، نشرت في مايو ١٩٢٩م

(٢) يبِضّ: رشح دماً كالعرق من إجهاد الدق

(٣) الممض: المؤلم من مضّ يمض: ألم من وجع المصيبة

(٤) الجوى: حرقه الشوق

(٥) يمجّ: يلفظ من مجّ. ويقال: كلام تمجّه الأسماع

سأعيش عيش الزاهدين وكان لـــي * أملٌ حَطَمــتُ قِوامَــه فَتَحطَّمــا
أمّـــا وقـــد أرْخَصْـــتَهُ وأهِنْتَـــهُ * ورَأيتَـــهُ إثمـــاً لـــديك مُحرّمـــا
فلْيـــذْهبِ الأمـــلُ الّـــذي أمّلْتُـــهُ * حينـــاً وعشـــتُ بظلِّـــه متنعِّمـــا
سأصُون عهدَ الحبّ عفّـــا طـــاهِراً * حتى أموتَ بـــه شـــهيداً مُغْرمَـــا

المبحث الثاني
قصائد الشكوى

إن شعر سيد قطب أفضل دليل لمعرفة شخصيته، وخاصة في فترة التّيه والهيام. كان كثير الشكوى، قلقاً، ضائعاً لقد حطّمه الزمن ولطمه القدر. كان حائراً لا يكاد يفهم الحياة. لا يعرف الهدوء والسلوان. يتيه كي يجد نفسه لكن دون جدوى، يملُّ الحياة، وييأس من الأحياء. يلوم نفسه، ويشكو من الطبيعة، ومن الناس، ومن الحياة ومن الشعراء والقدر والزمن وغيرهم. ينبذ النبيذ الحلو، ويسخط على النبيذ المرّ.

وما استقر عنده شيء إلا آلمه وأوجعه. في داخله نفس رقيقة مرهفة وعنيدة في ذات الوقت. ربما كان دافعه في ذلك، الغربة، ووفاة والديه، وسخطه من المجتمع المدني، وفشله في العاطفة. كل هذه الدوافع شكلت شخصية سيد قطب. ومن الدوافع التي ذكرها سيد قطب في كتابه (معالم في الطريق)، إنه كان وقتها لم يتخلص من ضغط الرواسب الثقافية في تكوينه العقلي والنفسي، وهي رواسب آتية من مصادر أجنبية غربية على حسه الإسلامي[١].

إحصائية القصائد[٢]

العدد	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	الصفحة
١	خراب	١٠	٥٨
٢	خريف الحياة	١٥	٥٩
٣	النفس الضائعة	١٨	٦٠
٤	الغد المجهول	١٥	٦٢
٥	غريب	١٠	٦٤
٦	سخرية القدر	٦	٥٥

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص ١٠٧

(٢) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٥٣- ٧٠

٧	مرّ يوم	١٤	٦٤
٨	سعادة الشعراء	٢٥	٥٣
٩	الصديق المفقود	٣٢	٥٦
١٠	خطا الزمن الوثاب	١٤	٦٨
١١	نهاية المطاف	٢٠	٦٩
١٢	إلى الثلاثين	٢٠	٦٦

تبلورت شخصية سيد قطب في قالب يحمل طابع التناقض وصيغة الإحباط. ظلت شخصيته هكذا طوال فترة الثلاثينيات والأربعينيات الأولى. كانت فترة شكوى وألم وهياج فكري حتى نضجت فأتت أُكلها فيما بعد. في هذه الفترة قرض سيد قطب شعراً، ولكنّه مهما برع أسلوبه وأصاب رأيه، فهو شاعرٌ وأديبٌ موهوبٌ لنفسه لا غاية له آنذاك. وتبدو تلك الفترة محطة أولى في حياته المستقلة، ولكن بعد أن ناهز الثلاثين من عمره أخذ يتحول شيئاً فشيئاً، بدأت آفاقه تتجلى وإذا به ينتقل تدريجياً حتى ارتدت إليه بصيرته ووجد ضالته.

تلك القصائد كانت صورة فعلية للشباب الذي تلتهمه الحياة المعاصرة بواقعها المرير. الشباب الممزق الذي تداعبه آماله ومطامحه ويردها واقع الحياة خائبة خاسرة، فيسقط الشباب فريسة الضياع. فالشاعر سيد قطب يشكو نوائبه ونوائب غيره من جيله الذي يعيش تعاسة القدر، ومرارة الحياة.

نسمع إليه قائلاً (في قصيدة سخرية الأقدار)[١]:

أغلب الظن، وقد تدري الظنون * أنها ألعاب دَهْرٍ ساخرِ
ماهر يهزأ بالمستهزئين * يبعث النكتة عفو الخاطر[٢]

وتسمع إليه يشكو نوائب غيره حين قال (في قصيدة سعادة الشعراء):

البائسُون إذا سمعتُ أنينَهم * أحسست أنّ مصابهم هو صائبي[٣]
والباسمون إذا شهدتُ ثغورَهم * هاجت حنيني للصَّفاء الذَّاهب

(١) سخرية الأقدار: ديوان سيد قطب، ص٥٥
(٢) عفو الخاطر دون إعداد سابق أو بنت لحظ الكلام
(٣) سعادة الشعراء، الديوان، ص ٥٣

فالشاعر يجد نفسه وحيداً، فقد أعياه البحث حتى عن صديق مخلص يشاركه هذا الألم، ويقف معه ضد هذه الحياة المعاصرة بواقعها المهين. وذلك حين قال (الصديق المفقود).

ابحثوا لي ما استطعتم عن صديق * فلقد أعياني البحث الكثيرْ[1]
مخلص الطبع له قلبٌ رقيقْ * خالص الإحساس فياض الشعورْ

يشكو سيد قطب حاضره المرير، ويرى الماضي أفضل من حاضره الذي أصبح كل شيء فيه خراباً، وخلاءً ووجوماً. انزوى النور وساده ظلام دامس. وأصبح المعدم يرضى بالقليل الهزيل. أودع ذلك الإحساس في الأبيات التالية من قصيدة (خراب):

أقفرت شيئاً فشيئاً كاليباب * غير آثار من البنت الهَشِيمْ[3]
باقياتٍ ريثما يَسْفِى[2] التراب * فإذا الكون خلاءٌ في وُجُومْ
كان ينمو هاهنا نورٌ صغيرْ * فوق نبت ليّنِ العودِ هزيلْ
فَذَوى النورُ وما كان نَضَيرْ * إنما المُعْدَمَ يُرضْى بالقليلْ

وفي قصيدة أخرى يشكو الشاعر ألم الغربة، وهو بين الأهل والأصحاب، يرى سيد قطب أن قلبه رغم ما فيه من حنين إلا أنه مفعم بالظنون والشكوك. وهو يبحث عن آخرين مخلصين. يبدو وكأنه يبحث عن مخلّصٍ له من هذه الحالة التي تنتابه. يقول في قصيدة (غريب):

غريبُ أجل أنا في غُرْبةٍ * وإن حَفَّ بي الصَّحْبُ والأقربُونْ[4]
غريب بنفسي وما تنطوي * عليه حنايا فؤادي الحنُونْ
غريب وإن كان لمّا يزلْ * ببعضِ القلوبِ لقلبي حنينْ

(١) الصديق المفقود، ص٥٦
(٢) يسفي: من الساق من الريح: ما حملته من التراب والغبار. مفرده: ساقةٌ
(٣) الهشيم: اليابس من كل شيء
(٤) غريب، الديوان، ص ٦٣

ولكنهـــا داخلتهـــا الظنـــون * وجاور فيهـــا الشـــكوك اليقـــين
غريـــب فـــوا حـــاجتي للمُعـــين * ووالهْـــفَ نفســـي للمخلصـــينْ

يقال إن اللغة العادية تعجز عن حمل تجربـــة الشـــاعر لأن نظامهـــا المعجمي الجاف لن يتسع لعواطفه أو انفعالاته من خلال النسق المعتاد للغـــة. هذا ما يؤكد أن لغة الشعر تخرج عن المألوف في اللغـــة، وتعطـــي للفظـــة انطباعات جديدة داخل نسق خاص تعبر عن رؤية الشاعر وتجربته[١] لذا بدأ سيد قطب البحث عن علاقات جديدة وعن صور شعرية جديدة تقـــوم مقـــام مهمته الجديدة ليعبر عما يجيش بداخله من شكوى وألـــم وحرقـــة. فجـــاءت قصائده في هذا الاتجاه بها دفء الانفعال ورقة العاطفة. وجاء أسلوبه سلســـاً مرناً ليس فيه غريب اللفظ أو المعنى. الأبيات السابقات عبّرت بجلاء، وأبانت صوراً جديدة عن رؤية الشاعر العاطفية.

(١) د. الكراعين، مرجع سابق، ص ٢٣٥- ٢٤٠

المبحث الثالث

قصائد الحنين

ولد سيد قطب وله نفسٌ سوية متكاملة. نمت نفسه نموّهـا الطبيعـي. تكاملت كل جوانبها، وقامت على قواعد سليمة صحيحة كالبنيان الشامخ، ثـم انطلقت نفسه تعمل بكل طاقتها في مجالها الصحيح. (الطفل يولد ولـه نفـس سوية).

عاش سيد قطب وفي نفسه غربة، اكتوى بنارها زمناً. أقـام بالقـاهرة لطلب العلم. هذه الإقامة بعيداً عن قريته التي بلغ بها سـن المراهقـة بـين مظاهرها ومناظرها الخلابة الرومانتيكية، كانت مصدراً لانبعـاث مشـاعر الحب والحنين إلى الأرض والأهل والأصدقاء. فقد أقلقه البعد وشحذ عواطفه فظلت ذكريات القرية والأهل تجرح عواطفه وتدمي قلبه؛ لتنحدر من عيونـه دموعاً غزاراً، وانفجر ينبوع الشعر فقرض قصائد مشبّعة بالعواطف المثيـرة والحنين الفائض الطامح. وبذا أضاف سيد قطب جديداً إلى الشعر العربي.

إحصائية القصائد[1]

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	ليلات في الريف	٨٣
٢	العودة إلى الريف	٨٥
٣	الليلات المبعوثة	٨٧
٤	ابتسامة	١٠٢
٥	جولة في أعماق الماضي	٧٤
٦	الماضي	٧٦
٧	رثاء عهد	٧٨
٨	عهد ذاهب	٨٠
٩	السعادة حديث الأشقياء	٨٢

(١) قصائد الحنين، الديوان، ص ٧٣- ١٠٢

١٠	ريحانتي الأولى (أو الحرمان)	٨٩
١١	عبادة جديدة	٩١
١٢	تسبيح	٩٢
١٣	في السماء	٩٣
١٦	نداء الخريف	٩٦
١٧	هتاف روح	٩٩
١٨	دعاء غريب	١٠٠
١٩	عهد الصغر	٧٣

لا أحد ينكر أنّ كثيراً من الشعراء قرضوا هذا النوع من الشعر. الحنين إلى الوطن وكانوا يصفون الوطن ويصيحون حنيناً إليه. وكان اللون الوصفي البياني غالباً على شعرهم[١]. لكنّ سيد قطب لم يسلك طريق الوصف، بل كان يصوّر عواطفه ومشاعره وأحاسيسه تصويراً دقيقاً. وكانت علاقته بالوطن ليست علاقة مادية، إنها علاقة روحية عاطفية معنوية[٢].

ذكر الشاعر الجاهلي الأطلال وعبّر عن حنينه القوي لملاعب حبِّة في صباه. وتبعه في ذلك سيد قطب، فكشف عن إحساسه بالغربة وحنينه إلى الريف، ذاكراً رسوم صباه ورسيس هواه. نسمع إليه يقول في قصيدته (جولة في أعماق الماضي):

يا ديـاراً نشـأتُ فيهـا صـبياً * وصَحِبْتُ الشبابَ في العُنفُوانِ[٤]
لـكِ منـي تحيّـة وسـلامٌ * أنـتِ دارُ النعـيمِ والرِّضـوانِ
فيك يا دار من صـباي رسـومٌ * زاهيـاتُ النقـوشِ والألـوانِ
هي عندي أعزُّ من كـلِّ شـيءٍ * وهي تبقى وكلُّ مـا عَـزَّ فـإن
فيك يا دار من هواي رسـيسِ[٣] * وألـذُّ الهـوى هـوى الشُّـبانِ
فرعى الله عهـد أنـس أرانـي * صورةَ الكونِ في جمال الحسـان

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ص١٨٣
(٢) الكشميري، مرجع سابق، ص٢١٢
(٣) رسيس: من رسّ يرسُّ رسيساً: دخل وثبت. والمراد: أثر باقٍ ثابت
(٤) جولة في أعماق الماضي، الديوان، ص ٧٤

ورعـــى الله خبـــرة ورفاقـــاً * ورعى الله أربعـــاً[١] ومعـــاني[٢]

سيّد قطب مولعٌ بحبّه لوطنه وأهله. بكى الدّيارَ والأهل والحب القـديم. دعا لأهله ورفاقه وديارهم بالبقاء. اختار من البحور ما يناسب موضـوعاته. انظر كيف اختار بحر الخفيف. وهو بحـر يناسـب ويصـلح لموضـوعات (الوجدانيات) الرّقة واللين. ويختار لقصيدته (نداء العـودة) بحـر مجـزوء المجتث. وهو بحر شاع وانتشر في العصر الأندلسي. العصر الذهبي للدولـة العباسية. وهو بحر نادر في الشعر الجاهلي والأموي حتـى أنكـر بعضـهم وجوده[٣]. نسمع إليه يقول في (نداء العودة):

عـودي إلـى العـش عـودي * ورفرفـي مـن جديـد[٤]
ورنّمـي بالأغـاني * فـي جـوِّه واسـتعيدي
أضـناك طـول الشـرود * ولـذّة التصـعيد
عودي إلى الدفء في عشك (م) * الأمـين الـودودِ
العمـر يمضـي فهيَّـا * نعيـده للوجـودِ

جاء شعره في هذا الاتجاه (الحنين) مليءً بصدق الشعور، حنين وحب وشوق. شعرٌ منبعثٌ من وجدانه. فقد قال العقاد: الشعر في ثلاثـة: العاطفـة والخيال والذوق. ولخص شكري جوهر هذا الاتجاه الوجداني في بيـت مـن الشعر جعله عنوان ديوانه الذي أصدره ١٩٠٩م. يقول فيه:

ألا يـا طـائر الفـردوسِ (م) * إنّ الشّـعر وجـدانُ

---

(١) أربعاً: مفرده ربع، والرّبْع محل القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً

(٢) المعانُ: المنزل. الخبرة: الأصدقاء

(٣) د. أميل بديع يعقوب، المعجم المفصل، ص١٢٩

(٤) نداء العودة

المبحث الرابع
قصائد التفكير في حقائق الأشياء

عاش سيد قطب فترةٌ ارتقت فيها الحياة العقلية والفنية رقيّاً هيأت لـــه الكتب الكثيرة المترجمة عن اللغات الأخرى. كمـــا هيـــأت لـــه المحـــاورات والمناظرات بين الشخصيات الأدبية وأعلام الأدب والنقد والمدارس الأدبيـــة المختلفة. مناظرات ومحاورات وجلسات أدبية دفعت سيد قطب إلى التفكيـــر والتأمّل. صُقِلَ عقله وبلغ أقصى ما يريد من العلم والمعرفة.

أنتج سيد قطب هذا اللون الجديد من الشعر بعد أن نظر إلى الطبيعـــة والحياة والكون نظرة فاحصة ملؤها التأمل والتفكير في حقائق الأشياء. جاءت تأملاته صوراً فنية وتحفاً رائعة، تنوء بإحساس مرهفٍ وذوقٍ رفيع. انتخـــب لها أنصع وأجزل وأعذب الألفاظ. وأحال تأملاته غذاءً شعرياً بـــديعاً. فـــنظم قصائد شعرية متألقة. أظهرت فكره وإحساسه دون كلفة أو مشقة.

إحصائية القصائد(١)

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	في الصحراء	١١٥
٢	الإنسان الأخير	١٢٠
٣	إلى الظلام	١٤٢
٤	قافلة الرقيق	١٤٣
٥	أقدام الرمال	١٤٧
٦	القطيع	١٣٥
٧	خدعة الخلود	١٤٩
٨	الدنيا	١٠٨
٩	الخطيئة	١٣٤
١٠	الشاعر في وادي الموتى	١٢٤
١١	بين الظلال	١١٨

(١) الديوان، ص ١٠٥- ١٤٩

١٢	إلى الشاطئ المجهول	١٢٣
١٣	هدأت يا قلبي	١٠٧
١٤	عودة الحياة	١٠٩
١٥	البعث	١١١
١٦	الشعاع الخابئ	١١٣
١٧	التجارب	١٢٩
١٨	مصرع قصيدة	١٤٠
١٩	في مفرق الطريق	١٤٥
٢٠	وجوه طريقة	١٤١
٢١	بسمة بعد العبوس	١٠٥
٢٢	خبيئة نفسي	١٣٢
٢٣	على القمة	١٣٨

سيد قطب واجه الحياة كإنسان يتأثر بها ويؤثر فيها. لقد تأمل في الصحراء، وعودة الحياة، والإنسان الأخير، والبعث، والتجارب، والدنيا، والخطيئة.. وكلُّها مواضيع وعناوين لقصائد التأمل. فقد تأمل فيها بكيانه الذي يشمل فيما يشمل الأهداف والقيم والإحساس بالجمال والرغبة في الكمال. فقد ظهرت فيها نظريات علمية؛ ولكنها لم تحتفظ بسمتها العلمية وشخصيتها المحدودة، بل استحالت صوراً من صور الشعر فيها موسيقته وعليها مسحته ولها سحنته. تناولت تأملاته الحياة والكون، وسعى لمعرفة سر الحياة والغرض منها. نسمع إليه يقول: (الشاعر في وادي الموتى).

تحيّر في سرّ الحياة وما اهتــدى * إليه، ولم يَقْنَعْ بتلــك الظــواهر[١]
وساءل عنه الكونَ والكونُ حائرٌ * يسير كمعصوبٍ بأيــدي المقــادر
وساءل عنه الموتَ والموت سادرٌ * وساءل عنه الشعرَ في حنق ثــائر
وساءل عنه كل شيءٍ فلــم يفــز * بشيءٍ ولم يرجع بصــفقة ظــافر

وصل الشاعر بتأملاته هذه إلى دراسة شعرية ونظرية علميــة لبيــان علاقة الجسم بالعقل والروح. تسمع إليه في قصيدته (إلى الشاطئ المجهول):

لقد حجب العقل الذي نســتثيره * حقائق جلّت عن حقائقنا الصغرى
هنا عالمُ الأرواحِ فلنخلع الحجا * فنغنم فيه الخُلْدَ والحبّ والسِّــحرا

وفي قصيدة أخرى يتأمل الشاعر في هذه الحياة ليرى جلّ مشاكلها هو الحبّ. ويعرّف الحبَّ بأنه إحساس رقيق في القلــب. وأنــه ســبب الجفــاء والشكوى والألم للإنسان. فتمنى بقلبه الهدوء حتى ولو كان هدوءاً أبدياً ليعيش هنيئاً في هذه الدنيا. جاء هذا التأمل في قصيدته (هدأت يا قلب).

بحر البسيط

هدأت يا قلب فاهــدأ هكــذا أبــدا * وعش هنيئاً إذا أحسست سلوانا[٢]
فجمرة الحبِّ قــد تخبــو ويعقبهــا * برد السّلو وتنس كل مــا كانــا
فلا جفــاء ولا شــكوى تردّدهــا * ولا دلال ولا وحْــداً وتحنانــا
تمسي وتصبح حراً غير مضطربٍ * ثبتَ الجنان مُريحَ البال ظمآنــا
نعــم ســنعدم حســاً رقّ جانبــه * ودقّ في عالم الإحساس ميزانا
وما يضيرك مــن فقــدان رقتــه * إذا فقدت بها بؤســاً وأشــجانا
وما الحياة إذا رق الشعور ســوى * بؤسٍ يَجْرَعُهُ الإنسانُ غصّــانا

---

(١) الديوان، ص١٢٤

(٢) هدأت يا قلب، عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ١٠٧

ثم تأمل الشاعر في الدنيا فيراها ما هي إلا عبثُ الأطفال وضجّة من رنين صاخب يؤذي الأسماع، وخاوية من كل شيء. وذلك حين قال في قصيدة (الدنيا)[١].

بحر الرّمل

أيه يا دنيا وما أنت سوى * عبث الأطفال فيما يلعبون
ضجة صاخبة لا تحتوي * غير أصداءٍ قوياتِ الرّنين
فإذا فتّشتَ عن مبعثها * لم تجد شيئاً تخبّيه الوكون[٢]

جاءت قصائد التأمل مملوءة بالخيال "ولكنه ليس بالمفهوم القديم للخيال الذي كان عقبه في سبيل فهم الصورة؛ لأن الخيال والوهم شيء واحد عند أرسطو والعرب والكلاسيكيين يجب الحذر منه في الأدب، بل وفي الأحاديث العامة لدى أصحاب الفلسفة العقلية هؤلاء"[٣]. فالشاعر سيد قطب خلط مشاعره بالصور الشعرية وناظر بين الطبيعة وحالته النفسية ليرى الأشياء من حوله أشخاصاً تفكر وتتأسى وتشاركه عواطفه وشعوره. فالشاعر في هذا الاتجاه طبق كل أشكال الصور الشعرية، وبناء القصيدة بما فيها من دقة التعبير وسلامة اللفظ ورقي المعنى. وأكثر من أدب الحوار. وتناول أسلوب القصص والتصوير الفني لموضوعاته.

---

(١) الدنيا، الديوان، ص ١٠٨

(٢) الوكون: جمع مفردة وكن. والوكن: عش الطائر

(٣) الغنيمي، ص ٣٨٨

المبحث الخامس

قصائد الصور الغزلية

الغزل والنسيب والتشبيب ألفاظ مترادفة، تعبر عن اختلاف اللهجات، لا عن اختلاف المعنى. وهي كما يقول الدكتور سامي الدهان: "تصور اختلاف القبائل في تسميه هذا اللون من القول، يطلقونها على من وصف المرأة، أو تحدث عنها، أو تحدث إليها، أو لها بها أو تخيل قولاً فيها، أو قصة معها أو وصف ما تثير في نفسه من حرقة ومن نعيم، فهذا نسيب أو تشبيب أو غزل، يرسلونه في أحكامهم، وكتاباتهم من غير كبير تمييز، أو عظيم اختلاف".

الغزل أهمّ الأغراض وألصقها بالغريزة. وهو الشعر المعني بصفات النساء، وميل الرجال إليهن، والحديث عن جمالهنّ وخصائصهن ووصالهن. فهو ألصق بالنفس والجسد. وهو التعبير الرّاقي عن الغريزة، والتصوير الفني لما بين الذكر والأنثى من تجاذب أبدى لا انفصام له.

ولمّا كان الباعث على قول الغزل فطرة فُطِرَ عليها الإنسان وغريزة مغروزة في الطبع، وكانت البواعث على القول في الأغراض الأخرى عوارض، تعرض حيناً وتختفي حيناً[1]، فقد فاق الغزل عند سيد قطب الأغراض الأخرى وبزها قدراً ومقداراً وعمقاً وسعة.

غزل سيد قطب معنيّ بصور الجمال، وسمو الغريزة والتأمل في الطبيعة وغيرها، وقد خلع على غزله نبالة وسموّاً وعفّةً وطهارة. مزج الجمالين، جمال الطبيعة وجمال المرأة، وكشف عن ذوقه في تصور الجمال.

كان لغزله بالمرأة ألوانٌ ونزعات وأبعاد، ولكنها ليست جامدة صارمة، بل تتغير مع مرور الزمن. وإنها مع ذلك كانت مرآة صادقة لحبه الذي لم

---

(١) د. غازي طليمات وآخرون، الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه، فنونه، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط١، شوال ١٤٢٢هـ- ص ١٣٤- ١٣٦

يقدر له فيه النجاح. وظل على عباب الاضطراب وانتهى به إلى خيبة الأمـــل وضياع الأماني المنشودة فلم تبلغ سفينته إلى شاطئ الأمان والقرار[١].

إحصائية القصائد[٢]

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	هي أنت	١٦٠
٢	ليلة	١٥٣
٣	نظرة موحشة	١٥٤
٤	طيف	١٥٦
٥	صوت	١٥٨
٦	أحبك	١٦٢
٧	توارد خواطر	١٦٣
٨	عينان	١٦٥
٩	حدثيني	١٦٦
١٠	خصام	١٦٧
١١	بيانو وقلب	١٦٩
١٢	الظامئة	١٧٠
١٣	لماذا أحبك	١٧٢
١٤	رسول الحياة	١٧٤
١٥	سر انتصار الحياة	١٧٥
١٦	السهم الأخير	١٧٦
١٧	اللحن الحزين	١٧٧
١٨	الغيرة (١)	١٧٨
١٩	الغيرة (٢)	١٨٠
٢٠	مصرع حب: ليلة الشك	١٨١
٢١	مصرع حب: ليلة اليقين	١٨٣
٢٢	الجنة الضائعة	

(١) د. سيد بشير الكشميري، عبقري الإسلام سيد قطب، ص ٢٠٥

(٢) الديوان، ص ١٥٣-٢٥٥

٢٣	الحنين والدموع	١٨٤
٢٤	اللغز	١٨٥
٢٥	قبلة	١٨٦
٢٦	داعي الحياة	١٨٧
٢٧	تحية الحياة	١٨٨
٢٨	الخطر	١٨٩
٢٩	يقظة	١٩١
٣٠	رقية الحب	١٩٢
٣١	الحياة الغالية	١٩٤
٣٢	الكون الجديد	١٩٥
٣٣	حب الشكور	١٩٦
٣٤	عصمت الحب	١٩٨
٣٥	الانتظار الخالد	١٩٩
٣٦	الحب المكرور	٢٠٠
٣٧	نكسة	٢٠٢
٣٨	على أطلال الحب	٢٠٤
٣٩	صدى قبله	٢٠٦
٤٠	غِنَىً	٢٠٨
٤١	وحي جديد	٢١١
٤٢	أكذوبة السلوان	٢١٣
٤٣	حلم الحياة	٢١٥
٤٤	الكأس المسمومة	٢١٧
٤٥	وحي لقاء	٢٢١
٤٦	حلم الفجر	٢٢٢
٤٧	انتهينا	٢٢٥

كانت هذه القصائد الغزلية نتيجة لعاطفة إنسانية أحسَّها سيد قطب شاباً وترجمها شعراً بل غزلاً عفيفاً، سواء تمثل هذا الحب في حبِّ المرأة أو

الطبيعة أو الحياة، فهو الحبُّ الذي يغمر النفوس، فلا يدع فيها مكاناً للبغضاء والحقدِ، ويجعلها دوماً شريفة نزيهة عفيفة[١].

أحب سيد قطب العهود الماضية والدروب البالية، والأشجار الناضرة، والطيور المغردة. فهو حبٌّ شاملٌ كاملٌ استقر في قلبه حيناً ومـــلأ جوارحـــه زمناً. نسمع إليه في قصيدته (الكون الجديد) يقول:

بحر الوافر

تغني واملئـــي الـــدنيا نشـــيداً * وحيِّي ذلك الكون الجديـــدا[٢]
فـــإن الحـــب أبدعـــه وإنـــي * نظمت على بدائعه القصـــيدا
آجـــل حيِّيـــه فهـــو لنـــا وإنّـــا * لنعمر كوننـــا عمـــراً ســـعيدا

وفي قصيدة غزلية أخرى بعنوان (غنى)، جاء ما يلي:

بحر البسيط

العين ماذا تقص العين من خيـــر * مسلسل في حنايا الـــنفس منســـاب[٣]
وما الذي أبدعت للفن إذ همســـت * للأمنيـــات فليـــت بضـــع أســـراب
وأفْصحتِ عن حنين كامن وهوى * يسري الهويني شغوفاً بـــين أهـــداب
والثغرُ ماذا يبثُ الثغرُ من قُبـــلٍ * في صمتِه العّذبْ بِل في سحره السابي

إن الحب أفاض على سيد قطب وعلى حياته نعيماً طيباً، وأزاح عنـــه أستار الدجى وتكشفت ظلماته فأبان كل زاهٍ جميل.

جاء ذلك في قصيدته (الحياة الغالية) حين قال:

بحر الكامل

الحبُّ فاض على الحياة بخصْبه * وأجدّ عمراناً بكـــل مخـــرَّب[٤]
وأزاح أستار الدجى فتكشـــفتْ * ظلماته عن كـــل زاه معجـــب
وكذلك تحلو لي الحياة وتجتلـــى * وتعز ساعات الغرام المخصّب

---

(١) قصائد الغزل، الديوان، ص ١٥٣– ٢٢٣
(٢) الكون الجديد، ص١٩٥
(٣) غنى: الديوان، ص ٢٠٨
(٤) الحياة الغالية، الديوان، ص ١٩٤

وفي قصيدة (عينان)، عجب الشاعر بهما، وتصور أنهما تستطيعان اختراق الحجب والأستار. وذلك حين قال:

بحر الطويل

إلى أيِّ سرٍّ بل إلى أيّ طلْسم * توجَّه من عينيك إشْعاعُ مُلْهَمِ[1]

إلى مخبأ الأسرار في نفس كاهن * تحجِّبُها أستارُ دجوان مظلم[2]

إلى الغابر الماضي الذي ضاع رسمه * وغيبه النِّسيان في تيه عيلم[3]

جاءت قصائده في هذا الاتجاه الغزلي تملأ العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان. جاءت صوراً منتزعة من عالم الأحياء، لما فيها من وصف وحوار وجرس للكلمات، ونغمة العبارات، وموسيقى السياق.

---

(١) عينان: الديوان، ص ١٦٥

(٢) دُجْوان مظلم: المراد تامة الظلمة من جاج يدجو: تمّ واكتمل

(٣) عيلم: البحر

المبحث السادس

قصائد الأسلوب الوصفي وتوكيد المعاني

الوصف من أقدم أغراض الشعر، وهو مرتبط بجوارح الإنسان. فالحواس تنقل من الطبيعة إلى الدماغ صور الموضوعات مرئية كانت أو مسموعة، ثم يترجم اللسان هذه الصور، وينقلها إلى أبيات ومقطوعات وقصائد مطولة؛ ليعيد رسمها على نحو فني يختاره الشاعر.

فالوصف رغم قدمه لم تخصص له قصائد مستقلة، وإنما كان يخالط الموضوعات الأخرى ويتسرّب بين تضاعيفها. ومما يقوي هذا الزعم أمور منها قول ابن رشيق: "الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره أو استقصائه، ومنها أن الشاعر في الأغراض الأخرى يستعين بالتصوير والتشبيه ليخلع على أفكاره المجرّدة أثواب الحس. فإذا ذكر الكرم أخذ من الشجاعة دفعه، ومن السحاب ودْقَه. وإذا ذكر الشجاعة استعار صولة الليث، وانقضاض النسر. وإذا شكا ظلم ذوي القربى وحقدهم قرن الظلم بالسيف الباتر، والحقد بالجمر القاني، فأصبحت معانيه ملء السمع والبصر. وقديماً قيل "أحسن الوصف مانعت به الشيء حتى كاد يمثله عياناً للسمع".

وفي معنى الوصف يقول ابن رشيق: "أصل الوصف الكشف والإظهار، ويقال: قد وصف الثوب الجسم إذا نمّ عليه ولم يستره". وقال قدامة بن جعفر: "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما هو فيه من الأحوال والهيئات".

ولما كان الشعراء يصورون ما يحبون أو يكرهون فيأتي تصورهم تارة أشبه بالمدح وتارة أخرى أقرب إلى الهجاء، فقد سمى النقاد هذا الغرض من أغراض الشعر "وصفاً" لا نعتاً. لأن الفرق بين النعت والوصف كما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي: "النعت لا يكون إلا في محمود، والوصف قد يكون فيه وفي غيره". وجاءت التسمية لشمولية المعنى[1].

---

(١) غازي طليمات، الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص ٧٥- ٧٦

أضاف سيد قطب إلى شعره جمالاً وروعة بإجادته فن الوصف. وتميّز وصفه بالعاطفة والصدق الفني، والصّور المتنوعة، والقدرة على الرسم والاستقصاء وتوليد المعاني وابتكار الصور. فالمقدرة على الوصف تعني القدرة على قول الشعر بأنواعه. لقد استطاع سيد قطب أن يحمل من الطبيعة الساكنة أو المتحركة صوراً مرئية ومسموعة. وله قصائد مستقلة في الوصف. برع فيها، وأحكم بناءها شعراً وأدباً راقياً.

إحصائية القصائد(١)

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	وردة ذابلة	٢٢٨
٢	العود	٢٢٨
٣	بريشة الشعر/ "صورة صادقة"	٢٣٠
٤	هدأة الليل	٢٣٢
٥	الصبح يتنفس	٢٣٤
٦	عبث الجمال	٢٣٦
٧	يوم خريف	٢٣٨
٨	الجبار العاجز	٢٤٠
٩	ناحت الصخر أو "الفاعل"	٢٤٢
١٠	حلم النيل	٢٤٤
١١	وداع الشاطئ	٢٤٥
١٢	الوادي المقدس	٢٤٧
١٣	في ليلة من ليال الربيع	٢٥١
١٤	جمال حزين	٢٥٢

التحليل:

جاءت قصائد الوصف بأسلوب اعتنى فيه سيد قطب باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها، خالية من الاشتراك، ومؤلفة في سهولة وجلاء. فكان أسلوبه في الوصف ثوباً شفافاً للمعنى المقصود.

---

(١) قصائد الوصف، الديوان، ص ٢٢٧ – ٢٥٢

لكن ليس من السهل أن نصل إلى نتيجة أسلوبه أو أسلوب أي أديب في أي عصر، وذلك لأن الأسلوب ليس مفهوماً ثابتاً.. هو في التوراة غيره في الإنجيل وفي عصرنا اليوم غيره في عصور مضت، وفي لغتنا غيره في لغة غيرنا لذلك من المستحيل إثبات أن أشكالاً أو صفات معينة لا بد لها في كل الظروف آثاراً معينة أو قيم تعبيرية، وذلك يعود إلى مؤثرات اجتماعية أو تاريخية أو أدبية لا يمكن الكشف عنها إلا بدراسات أسلوبية مقارنة لم تتحقق بعد(١).

سيد قطب شاعر. أدرك الحياة ورأى الحياة والكون رؤية متميزة، وتوافرت له القدرة على التعبير. فإدراك الحياة والقدرة على التعبير سمتان لازمتان لسيد قطب. لقد وصف الطبيعة بكل ألوانها، ووصف الجمال والحياة بأنماط شعرية. وتغنى واصفاً جوانب الكون. فزاد سكون الليل لطفاً. وأضاف إلى جمال الصبح بهاءً وخاطب الخريف والنيل وجعله يفيض حناناً وحباً لأرض الكنانة.

وصف سيد قطب الأشياء فكساها جمالاً وألبسها ثوب الدِّعة والمتعة. فالصحراء، ويوم خريف، وأقدام في الرمال، ما هي إلا وصف للفرار من واقع الحياة، وكشفٌ لأسرار ما وراء الطبيعة، وشوقٌ للقوى الروحية التي تقود إلى العوالم المجهولة التي حجبها جسمه الضعيف وعقله المحدود.

(اضطراب حانق) تحكي عن نزعة التنكر للدنيا والحياة. استاء وتبرم سيد قطب من الناس حوله. يراهم منحدرين إلى الدرك الأسفل، تاركين سبيل العفاف والرشاد والإخلاص لأغراض الدنيا الدنيئة. كان يودُّ محوهم وإزالتهم من وجه الأرض لينكشف الظلام ويشيع النور ويملأ أركان الكون. نسمع إليه يقول:

لا فما أقفر هاتيك النفوس * لا فما أجمد ذيّاك الشّعور(٢)

إن وجه الكون مغيرٌ عبوسٌ * بهمو. فليغربوا عنه ينير

---

(١) د. أحمد نعيم الكراعين وآخرون، نصوص ودراسات أدبية، منشورات جامعة صنعاء، ص١١

(٢) اضطراب حانق، الديوان، ص ٤٢

وفي قصيدة (جمال حزين) يصف ويصور جمالاً لفتاةٍ رآهـا. فكـان بديعاً في وصفه حين قال:

بحر المتقارب

أجـلُّ مـن الحـزن والمـأتم * جمالك إن كنـت لـم تعلَمِـي[١]
وقد دار حول الجبـين الخمـار[٢] * تشعشـع[٣] كاللّيـل بـالأنجُمِ
كمـا أرسـل الصـبحُ لألآءه[٤] * بريئاً مـن الصِّـبْغِ كالعنـدم[٥]
وفـي شـفتيك الجنّـى والرّحيـق * ولكـن طهـرت فلـم تـأثمي
وكَفَّكِ[٦] في الصمت حزن شفيق[٧] * سوى قبله وصوصت[٨] في الفـم
وفتنـةُ هـذا الجمـالِ العميـق * وطُهْـرٌ نمـاك إلـى مَـرْيمِ
هو الحِلْمُ بـين ضِـفَافِ الجنـان * يرفٌ[٩] على ثغـرك الملْهِـمِ[١٠]
ويَطْـرقُ عينيـك فـي سَـبْحةٍ * إلـى عـالم شـاعريٍّ ظَمِـي
تحجَّبَ بـين شـعاب[١١] الغيـوب * وأومضَ[١٢]في قلبكِ المُفْعَـمِ[١٣]
ضـميري يُحِسُّـك أغـرودّة[١٤] * على شـفتي خـاطرٍ مُـبْهم[١٥]

وفي قصيدة (حلم النيل) يصف النيل وهو يغنّي سائراً إلى مداه البعيـد ومن حوله الزهر يحف جنباته. قال:

هازج بالنشيد تلو النشيد وهو يمضي إلى مداه البعيد[١٦]
ذكريات القرون قد صاغها النيل نشيداً، فيا له من نشيد!
ينظم السحر والكهانة والفن، ويشدو بكل هذا القصيد
منذ فجر التاريخ لم يتبدل لحنه العذب من قديم جديد
حالم بالرجاء عندك يا نيل، سعيدٌ بحلمك المعهود
ينبت الزهر في خطاك بهيجاً، ذاك حلم تأويله في الورود

---

(١) جمال حزين: الديوان، ص ٢٥٢، (٢) الخمار: ما تغطيى به المرأة رأسها. (٣) تشعشـع: انتشـر (٤) لألآءه: بريقه والمراد إشراقته (٥) العندم: صبغ تختضب به الفتـاة. والمـراد إنهـا مشـرقة بطبيعتها بريئة من الأصباغ (٦) كفّك: كفاك (٧) شفيف: الشفاف. والمراد حزن كشف عما بداخلـه (٨) وصوصت: المراد قبله سريعة حقيقة (٩) يرف: يتلألأ (١٠) الملهم: المحـرك للقلـوب (١١) شعاب: طرق (١٢) أومض: لمع (١٣) المفعم: المملوء (١٤) اغرودة: أغنية (١٥) مبهم: مجهـول (١٦) حلم النيل، الديوان، ص ٢٤٤

المبحث السابع
قصائد الوفاء والتحسّر

الرثاء هو بكاء الميت ومدحه. جاء في لسان العرب: رثى فلانٌ فلاناً، يرثيه رثياً ومرثية إذا بكاه بعد موته. قال فإن مدحه بعد موته قيل: رثاه يرثيه ترثية... ورثوت الميت إذا بكيته، وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعراً.

وجاء في جواهر الكنز: "رثى فلانٌ لفلان إذا رقّ له، لأن الميت تخشع له القلوب، وترق له النفس، ويقال رثأت بالهمزة". فالرثاء يوافق المدح في المعاني ويخالفه في المشاعر. قال ابن رشيق: "ليس بين الرثاء والمدح فرق. إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل "كان" أو عدمنا به كيت وكيت" وما شاكل هذا ليعلم أنه ميت".

نأى سيد قطب بنفسه عن المدح إلا من كان ميتاً فمراثيه فيها حبٌّ ووفاء وتحسر رثاء نبيل شريف المقصد. يصور الفجيعة ويحلل تأثيرها في نفسه وفي نفوس الناس من حوله، ويدعو للمرثي بالسقيا بعد الموت. له نفس رقيقة تتأوه مع الناس، وتبكي الأموات، وتبعث في الأحياء روح الأمل. فهو مع تغنيه بأمجاد أمته يتغنى ويرثي الذين ماتوا من أبطال الشعب العربي المسلم. كانت مراثية لا تقل أثراً عن التأبين. فهو يعيد للأمة ثقتها في بنيها ونفسها ويجدد في الناس روح التضحية والبذل والعطاء.

إحصائية القصائد[1]

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	وحي الخلود	٢٥٥
٢	الذكرى الخالدة	٢٥٧
٣	البطل	٢٥٩
٤	ذكرى سعد	٢٦٤
٥	طليعة الصحايا	٢٦٦
٦	موت سوسو	٢٦٨
٧	الزاد الأخير	٢٧٠
٨	لوسة	٢٧١
٩	صدى الفاجعة	٢٧٤

عاش سيد قطب مشاكل شعبه وتفقد أصحاب الأدوار من صناع المجد والتاريخ. لقد أجاد فن الرثاء رغم قلته. فكلماته دمعات تتقطر في صور ألفاظ تبكي السامعين وتنقلهم إلى العالم الخارجي. جاء رثاؤه لثلاث شخصيات في مصر. سعد زغلول، وأحمد ماهر والملك فاروق. ولقد رثا البطل العبيد حاج الأمين وهو من قادة اللواء الأبيض في السودان عام ١٩٢٤م. قال سيد قطب وهو يرثي فقيد مصر العظيم أحمد ماهر المتوفى ١٩٤٥م: "لم تكن إلا مرّات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة.. فيا ويح لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون..؟.

بحر الكامل

جف الرثاء بخاطري المفجوع * وصَمَتُّ لا أُفضي بغير دموعي[2]
إنِّي ذهلت عن المصاب بوقعه * حيناً، ذهولَ الواهم المخدوع
فظللت نصت للرجاء، وأتَّقى * صوتَ اليقين الفاجع المسموع

(١) الديوان، ص ٢٥٥-٢٧٤

(٢) صدى الفاجعة: الديوان، ص ٢٧٤-٢٧٥

أيموت؟ كلا! لا يمــوت وهــذه * مِصْرُ ترجّى نَجْمَــهُ لســطوع
أيموت والأحداث تهتف باســمه * أتكونُ تلــك هُتَافَــة التوديــع
قل أيُّها النّاعي سواه؟ فمــا أرى * أنِّي –وإن جاهــدْتَنِي– بســميع
يا واهبَ الوادي مريــع حياتــه * ما بال عُمْرِكَ لم يكــن بِمَرِيــع
يا مانع الوادي العزيــز بنفســه * ما بال عُمْرِكَ لم يكــن بمنيــع
خطفتك عاديةُ المنــون وخلّفــتْ * وطناً يعالج سكرة المصــرُوع
لخلا مكانك لــيس يمــلأ رحبــه * إلا الأســى وتفجُّــعُ المفجُــوعِ
لخــلا مكانُــك والــبلاد تهيــأتْ * تخطو إلى أفقٍ رسمْتَ وَسِــيعِ
وتلفّتَتْ تصغي لصــوتِك هاديــاً * في المدلهم ورأيــك المســموع
فصَمَتَّ –يا للهول– صمتَةَ واجمٍ * ماضٍ لغيــر تــأوُّبٍ ورجــوع
واهاً لمصر ويا فجيعــة أهلِهــا * في الرائــد المتفــرد المتبــوع

جاءت قصائدُ الرثاءِ صوراً تلقائية، فرضت نفسها عليه قســراً، فلــم يستطع عنها حولاً، وقد اقتنع عقله بحقيقتها العظيمة. وكان فيها الحبُّ والوفاء والتحسر وشرف المقصد.

المبحث الثامن

الوطنيـــــات

سيد قطب شاعر إنسان. والإنسان كائن متفرد لا يشبهه ولا يشـــاركه في تفرده كائن من الكائنات؛ لأنه قبضة من طين ونفخة من روح الله. وهـــو بذلك يطيع الله على نحو يختلف عن الآخرين. فطاعة الله مظهر من مظـــاهر الكون، لا يفترق فيه جماد عن نبات عن حيوان، إلا أن الله قد أعطى الإنسان كياناً منفرداً في أمرين عظيمين هما: الإدراك والإرادة. فالإنسان مدرك لنفسه وما حوله، ومريدٌ لما يقوم به من أعمال وتصرفات. وهذان الأمران قـــدّرهما الله بما يناسب المهمة التي خُلِقَ لها الإنسانُ وهي الخلافة عن الله في الأرض. الله خَلَقَ الإنسانَ ليعمر الأرض، ويستخرج كنوزها، ويستقل طاقاتها، وينشئ ويبنى وينتج ليسمح للحياة الإنسانية بالوجود والبقاء. والامتـــداد والارتقـــاء. فالوجود والحركة والعمل والإنتاج والعبادة... كل ذلك مطلـــوب ومقصـــود. لأنها أدوات تقوم عليها خلافة الإنسان عن الله في الأرض. فأي تغير لهـــا لا يكون لهذه الخلافة معنى ولا وجود.

سيد قطب أحبّ وطنه وغنى له، فحب الوطن من طاعة الله. فشـــعره الوطني كان يبعث في النفوس روح التضحية والفداء، ويجدد حـــب الـــوطن، ويجيش بالنفس الملهمة التمسك بالتراب والدفاع عنه. كان شعره الوطني ضد الظلم والانحلال والسيطرة والاستبداد. كان شعرُه الوطني روحاً للإنسان الحر الذي يسمح للحياة الإنسانية بالوجود والبقاء والامتداد.

إحصائية القصائد[1]

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	إلى البلاد الشقيقة	٢٧٩
٢	مأساة البدارى	٢٨١
٣	صوت الوطنية	٢٨٣
٤	المهرجان	٢٨٥

التحليل:

كان شعره رغم قلته حرباً ضد الذين يسعون لإيقاع الظلم على الآخرين. كان ضد المستعمر الذي يستغل شعبه. ويمنعهم من خبراتهم، ومن الحركة والعمل والعبادة بحرية، كان شعره يدعو للبروز والسيطرة في سبيل الخير ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[2]، ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾[3] البروز الذي لا يتم بتحطيم الآخرين وسحقهم. البروز الذي يدعو للحق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

كان شعره الوطني يدعو لإعطاء الإنسان شخصيته الإيجابية الفاعلة المتحركة. كان يوجه مجتمعه نحو الخير، ومنع فرص الظلم والطغيان. كان يحث المجتمع الخانع السلبي المستسلم، للنهوض لتحرير أنفسهم من رجس المستعمر، وتطهير البلاد الإسلامية من دنسهم.

استطاع سيد قطب أن يُعبّر تعبيراً صادقاً في استنهاض شعبه وأمته للكفاح ضد الظلم، وفي رفع صوت الوطن عالياً، نسمع إليه في قصيدته (مأساة البداري)[4].

بحر الكامل

ما ذلك العرض الشريف يثلم * ويسيل من حنق حواليه الدم
ومن الذي سام النفوس مهانة * يأبى ويأنفها الذلول الأعجم

---

(١) الديوان، ص ٢٧٩– ٢٨٥

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٤

(٣) سورة المطففين، الآية ٢٦

(٤) مأساة البداري، الديوان، ص ٢٨١

وكرامة يشتط فـــي تحقيرهـــا * نزل حقيـــر القلـــب لا يتـــأثم
في أيّمـــا بلـــدٍ نعـــيش وأيّمـــا * عهدٍ يمرّ على الكنانة مظلـــم
عهد نسام الخسف[١] فيه ونبتلي * نقماً إذا قمنـــا نضـــج ونـــنقم

وفي قصيدة "إلى البلاد الشقيقة" يناشد فيها أبناء فلسطين ويحثهم علـــى النضال من تحرير فلسطين. جاء فيها:

بحر الكامل

عهد على الأيـــام ألاَّ تُهزمُـــوا * فالنّصرُ يَنْبتُ حيثُ يُهْراقُ الدَّمُ[٣]
في حيثُ تَعتَبطُ[٢] الدِّماء فأيقنُوا * أن سوف تَحْيُوا بالدماءِ وتَعْظمُوا
تبغُونَ الاستقلاَلَ؟ تلك طريقُـــهُ * ولقد أخـــذتُم بـــالطريقِ فيمِّمُـــوا
وهو الجهـــادُ حِميـــةٌ جشّـــامة * ما إن تخافُ من الرَّدى أو تَحْجُمُ
إنّ الخلودَ لمن يَطيـــقُ مُيَسَّـــرٌ * فليمض طلابُ الخلـــودِ ويُقَـــدِّمُوا
وطـــن يُقَسَّـــمُ للـــدخيلِ هديـــةً * فعلامَ يَحْجُمُ بعـــد هـــذا مُحْجِـــمُ؟
الشّرقُ يا للشّرق تلـــك دِمَـــاؤُه * والغربُ يا لَلغرب يُضْرِبه الـــدَّمُ
الشرقُ ويح الشرق كيف تَقَحَّمُوا * حرماتِه الكُبْرى وكيفَ تهجَّمُـــوا

جاءت الألفاظ التي تحمل معانيه التي أومأ إليها سهلة جذابـــة وقويـــة، ولقد تعاون خياله ووجدانه في بثّ هذه المعاني التي كشفت ما خلف الأشياء.

---

(١) نسام الخسف: نذوق الظلم

(٢) تعتبط: من عبطه الموت أي مات شاباً. والمراد: تسيل الدماء في سبيل الوطن دون إكراه بل برضا

(٣) إلى البلاد الشقيقة، الديوان، ص ٢٧٩

المبحث التاسع
قصيدتا الالتزام الإسلامي

سيد قطب له طاقةٌ وفكرٌ سخرهما لتخليص العقل العربي من لوثة الخضوع لكل غريب، ولتحرير ديار الإسلام والمسلمين من كل غاصب ودخيل وعميل.

لقد تناول شعره جانباً من أدب الالتزام الإسلامي. جاء هذا الالتزام نتيجة لأحداث مرّت بها البلاد العربية والإسلامية وبخاصة مصر. ومن تلك الأحداث ما جرى في عام ١٩٤٩م حين اغتيال المرشد العام الأول حسن البنا، وسيق آلاف من الإخوان المسلمين إلى السجون. وفي يناير من عام ١٩٥٠م تولى حزب الوفد مقاليد الحكم في مصر، وأُفرج عن بعض الإخوان. وفي أغسطس من نفس العام (١٩٥٠م) رجع سيد قطب من الولايات المتحدة لينضم في صفوف الإخوان. وفي مارس ١٩٥١م قررت المحكمة ببراءة الإخوان عن الاتهامات الموجهة ضدهم. وفي مايو ١٩٥١م أعلن الإخوان رسمياً تنظيمهم كحركة وجماعة ذات أغراض وأهداف معينة ومعلومة، وفي اكتوبر تم انتخاب حسن إسماعيل الهضيبي كمرشد عام للحركة. وفي نوفمبر عام ١٩٥١م نشر سيد قطب مقالته "عقيد الكفاح" التي كانت صوته الأول والصريح، معلناً انتسابه إلى حركة الإخوان المسلمين، وفي عام ١٩٥٢م انتخب سيد قطب رئيساً لقسم "نشر الدعوة"[١].

كان سيد قطب أكثر تنظيماً وانضباطاً في تنظيم الإخوان. مواهبه العديدة ساعدته في إبراز مكانته في التنظيم. بل كانت مواهبه سلاحاً وزاداً له على الدّرب الحركي. تزود منها بقوة الفكر ومتانة العبارة. في مارس ١٩٥٣م كان الممثل للجنة الدراسات الاجتماعية المصرية في مؤتمر حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة في دمشق. ثم انتدبه مكتب الإرشاد للإخوان

---

(١) الكشميري، مرجع سابق، ص١٥٩

ليمثل الحركة في المؤتمر الإسلامي الشعبي في القدس. وفي ديسمبر عام ١٩٥٣م اعترف كبار السياسيين بعظمة وسحرية شخصية سيد قطب[١].

نظم سيد قطب أروع قصيدتين في هذا الاتجاه. قصيدة "هبل هبل" وقصيدة "أخي" نظمهما عندما كان سجيناً.

إحصائية القصيدتان[٢]

العدد	عنوان القصيدة	الصفحة
١	هبل ... هبل	٢٨٩
٢	أخي	٢٩١

لقد اعترف سيد قطب أنه لم يخرج من حالة القلق والاضطراب والحيرة والشك، ولم يطمئن قلبه وضميره، ولم يتلذّذ بالسكينة والهدوء إلا بعد أن هدى إلى كنف الله[٣].

تناول سيد قطب في جانب من شعره أدب الالتزام الإسلامي، وكان مدافعاً عن وطنه، مهاجماً أعداءه، مخلّصاً الناس من ظلم الظلمة وعسف الجبارين. عاش حراً لا يروق له رؤية الطغيان والاستبداد.

هاتان القصيدتان جُمعت فيهما محاسن سيد قطب الشعرية والأدبية بصورة وافية. وتعد من روائع شعر الدعوة الإسلامية. في قصيدته "هبل هبل" صوّر فيها حالة الشعب المصري آنذاك كالماشية. وصور حاكمهم كصنم الجاهلية "هبل". بل كان الشعب المصري ينسبون إليه خصائل غير عادية، كأنه مرسل أو ملك من السماء من أجل إخضاعهم وذلهم وإهانتهم. وذلك حين قال:

هبل... هبل[٤]

رمز الخيانة والجهالة والسخافة والدّجل
هتّافه التهريج ما ملّوا الثناء

---

(١) د. الكشميري، ص٦٠

(٢) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٢٨٩- ٢٩١

(٣) سيد قطب، معالم في الطريق، مرجع سابق، ص ٣٠

(٤) هبل هبل، الديوان، ص ٢٨٩

زعموا له ما ليس... عند الأنبياء

ملك تجلبب بالضياء وجاء من كبد السّماء

هو فاتحٌ.. هو عبقري ملهم

هو مرسل.. هو عالم ومعلم

ومن الجهالة ما قتل

ومن قصيدته الأخرى نختار منها الأبيات التالية. وهي قصيدة تعد نعرة من نعرات الدعوة الإسلامية لا لإثارة النفوس فحسب بل لتنوير السبيل وتوضيح معالمه، وذلك حين قال في آخر القصيدة:

قد اختارنا الله في دعوته * وإنا سنمضي على سنته[1]

فمنّا الذين قضوا نحبهم * ومنّا الحفيظ على ذمّته

أخي فامض لا تلتفت للوراء * طريقك قد خضبته الدماء

ولا تلتفت ههنا أو هناك * ولا تتطلع لغير السماء

فلسنا بطير مهيض الجناح * ولن نستذل ولن نستباح

وإني لأسمع صوت الدماء * قويّاً ينادي الكفاح الكفاح

سأثار لكن لرب وديـن * وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام * وإما إلى الله في الخالدين

جاءت صور قصائده في هذا الاتجاه مطبوعةً بمشاعره المثارة. وهي صورٌ مكثفةٌ لأحاسيس نفسية غامضة في اللا شعور. وهي نتاج لمركبات غريزة منبعثة من ضميره العام لعقله الكبير. صورٌ عبّرت عن عالمه الداخلي وبعده الانفعالي، وعن عالمه الخارجي وبعده المرئي. فجاءت الصورة متوافقة بين هذين العالمين.

---

(١) أخي، الديوان، ص ٢٩١

المبحث العاشر

الإحصائية العامة لقصائده والإحصائية الزمنية

هاتان حصيلتان لقصائد سيد قطب في ديوانه الذي جمعه ووثّقه وقدّم له الأستاذ عبد الباقي محمد حسين. بلغت القصائد والمقطوعات مائة وأربعاً وثلاثين قصيدة، في فترة زمنية لا تتجاوز تسعاً وعشرين سنة. وبلغت أبياتها ألفين وخمسمائة وثلاثة وخمسين بيتاً. أكثر اتجاهات شعره في الغزل العام، حين أنشأ خمساً وأربعين قصيدة.

هذه الحصيلة معظم أبياتها مبنية بناءً محكماً. تحققت فيها وحدة الموضوع والمشاعر، وذلك لترتيب الصور والأفكار ترتيباً منطقياً. ولكل بيت من القصيد له وظيفته الفنية يؤدّيها ذلك البيت عن طريق تسلسل الأفكار والمشاعر والإحساس العام للقصيدة.

يحتوي الديوان على عدد مقدّر من البحور إلا أن معظم بحوره من ذات التفعيلة الواحدة كالكامل والمتقارب والرمل. وفيه عدد من قصائد الشعر الحر أو ما يسمى بشعر التفعيلة. لتأثره بالاتجاه العام في الشعر الحديث.

هناك بعض البحور لا نجد لها أثراً في ديوانه كالمنسرح والسريع. هذه الحصيلة يمكن فهمها وتفسيرها من خلال الكشف عن ذاتية سيد قطب النفسية عن طريق إحكام الصلة بينه وبين الظروف البيئية والاجتماعية والسياسية من حوله. ويبدو أن هناك عوامل ومؤثرات عديدة ساعدت في إبراز هذه الموضوعات الشعرية. ولقد ذُكِرَتْ المؤثرات والعوامل في الفصل الأول من هذا البحث. ويبدو أن هدف الشاعر البحث عن المجهول، الذي كان يؤرّقه، والذي وصل إليه يوم نشر مقالته "عقيدة الكفاح" معلناً انتسابه لحركة الإخوان المسلمين. ذلك في نوفمبر من عام ١٩٥١م وأصبح من أشهر قادتها إلى حين استشهاده في يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م.

الإحصائية العامة

الرقم	الاتجاه	عدد القصائد
١	التزام إسلامي	٠٢
٢	الوطنيات	٠٤
٣	وفاء وتحسر	٠٩
٤	وصف وتوليد للمعاني	١٤
٥	أبعاد غزلية	٤٥
٦	التفكر	٢٣
٧	إلى الريف	١٩
٨	شكاوى	١٢
٩	عزلة	٦

الرسم البياني للإحصائية العامة

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
الالتزام الإسلامي	الوطنيات	وفاء وتحسر	الأسلوب الوصفي	صور غزلية	التذكر في حقائق الأشياء	الحنين	الشكوى	تمرد واضطراب

المقياس على الزمن: ١ ملم = ١ قصيدة

أكثر اتجاهات شعره الغزل يليه التأمل ثم الحنين ثم الوصف كما هـو واضح في الرسم البياني أعلاه.

الإحصائية الزمنية:

الرقم	تاريخ إنشائها	عدد القصائد	ملاحظة
١	١٩٢٥	١	مرحلة الهواية وبداية حياته الشعرية[١]
٢	١٩٢٧	١	مرحلة التحول النظمي للشعر
٣	١٩٢٨	٧	إنتاج الشعر على بحر الطويل
٤	١٩٢٩	١٢	مرحلة النضج الشعري
٥	١٩٣٠	٩	اكتمال مرحلة النضج الشعري
٦	١٩٣١	١	مرحلة انشغاله بالسياسة
٧	١٩٣٢	٨	أكثر من قصائد الوصف
٨	١٩٣٣	٥	الغزل على بحر الكامل والبحور الأخرى[٢]
٩	١٩٣٤	٤١	أكثر من إنتاجه الشعري
١٠	١٩٣٥	٢	بداية مرحلة الخمول
١١	١٩٣٦	–	بدأ التوقف من إنتاج الشعر
١٢	١٩٣٧	٩	عودة لإنتاج الشعر
١٣	١٩٣٨	٥	مرحلة بداية نشاطه الفكري في أغراض أخرى
١٤	١٩٣٩	–	مرحلة بداية نشاطه الفكري في أغراض أخرى
١٥	١٩٤٠	١	النشاط السياسي
١٦	١٩٤١	٣	إصدار مؤلفات أخرى
١٧	١٩٤٢	٤	إصدار مؤلفات أخرى
١٨	١٩٤٣	٤	إصدار مؤلفات أخرى
١٩	١٩٤٤	٣	إصدار مؤلفات أخرى
٢٠	١٩٤٥	٥	التراجع في إنتاج الشعري
٢١	١٩٤٦	٣	بداية مرحلة التخلص من الشعر[٣]
٢٢	١٩٤٧	١	بداية مرحلة التخلص من الشعر
٢٣	١٩٤٨	٢	بداية مرحلة التخلص من الشعر
٢٤	١٩٤٩	–	بداية مرحلة التخلص من الشعر
٢٥	١٩٥٠	١	بداية مرحلة التخلص من الشعر
٢٦	١٩٥٤	٢	دخوله السجن

(١) أول قصيدة نظمها في عام ١٩٢١م تحمل أفكار طفل. وفي عام ١٩٢٥م نظم قصيدة (وردة ذابلة) تحمل أفكار شاعر مبتدئ

(٢) أكمل دراسته ثم تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة

(٣) في هذه المرحلة حدثت أشياء هامة منها اعتقالاته السياسية ونفيه إلى أمريكا والتوقف عن إنتاجه الشعر

الفصل الثالث

التجربة الشعرية ودورها في شخصية الشاعر

(١)

- ❖ المبحث الأول: مقومات التجربة الشعرية
- ❖ المبحث الثاني: قدرة الشاعر على الوصف والتعبير
- ❖ المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية
- ❖ المبحث الرابع: الصور الشعرية
- ❖ المبحث الخامس: الخصائص الفكرية في الديوان
- ❖ المبحث السادس: الصور البلاغية

(٢)

- ❖ المبحث الأول: شخصية الشاعر من خلال شعره
- ❖ المبحث الثاني: معجم الشاعر اللغوي
- ❖ المبحث الثالث: سيد قطب بين الشعر والنقد
- ❖ المبحث الرابع: تأثر الشاعر بالقدامى

الفصل الثالث

التجربة الشعرية ودورها في شخصية الشاعر

المبحث الأول: مقوّمات تجربته الشعرية:

التجربة الشعرية هي الصورة النفسية أو الكونية الكاملة التي يصورها الشاعر حين يفكر تفكيراً ينمُّ عن شعور وإحساس عميقين. ليست مهارات في صياغة القول أو مجاراة شعور الآخرين؛ لينال رضاهم. بل هي اقتناع ذاتي وإخلاص فني. يقول الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي: "نقصد بالتجربة الشعرية الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصدرها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور. تفكير ينمِّ عن عميق شعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهاراته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم، بل يغذي شاعريته يجمع الأفكار النبيلة ودواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدسة، وأصول المروءة النبيلة والكشف عن جمال الطبيعة"(١).

تجربة سيد قطب واضحة في نفسه، وقف على أجزائها بفكره وإحساسه زمناً، يرتب وينظم ونقلها في أدق ما يحيط بها من أحداث. تمثلت فيها الحياة وألوان الصراع داخل نفسه إزاء تلك الأحداث التي تحيط به. أبانت تجربته عن حقائق من الصعب الإلمام بها. فالصور والإيحاء والابتكار أقوى أثراً وتعبيراً في تجربته الشعرية.

عبّر سيد قطب عمّا في نفسه من صراع داخلي ومواقف أخرى إنسانية عامة. وحوّل أفكاره الذاتية إلى أفكار موضوعية وجعلها موضوع تأمله. سيد قطب قَصَدَ التأمل في تجربته الذاتية المحضة أو الذاتية التي لها طابع

---

(١) د. غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، مدينة السادس من اكتوبر، تاريخ النشر يناير ٢٠٠١م، ص٣٦٣

اجتماعي لينقلها لقارئ الديوان صوراً جميلة. وكان سيد قطب على صلة بعناصر الحقائق النفسية والكونية التي ألهمته الشعر.

لكل تجربة شعرية عناصر مختلفة. عناصر فكرية وخيالية وعاطفية. وهذه العناصر في ذاتها لا يتآلف منها شعر؛ إذ أنها والحال هذه نثرية في طبيعتها. فسيد قطب اتخذ منها مواد تصويرية استعان بها على جلاء صورٍ تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير.

لذا كانت لمقوّمات تجربته الشعرية ناحيتان: الأفكار والخواطر المجرّدة، ثم قام بوضع هذه الأفكار والخواطر في قوالب خاصة معتمداً على تكرار الوزن والنغمة والقافية والحركة الموسيقية مع مزاوجتها بخياله وعواطفه.

جاءت التجربة عظيمة. لأنها إفضاء بذات النفس، وإخلاص وتركيز وانتباه. كشفت تجربته عن أغوار قلبه الإنساني. جاءت أعمق من مجرد حواس ظاهرة أو طلاء مصطنع. جاءت صوراً نفسية عميقة. لنسمع إليه في قصيدته (أكذوبة السلوان)[١].

بحر الكامل

الآن أعلم أن كل خواطري * تهفو إليك كرقرقات[٣] الطائر
ما كان سلواني سوى أكذوبةٍ * خدعت بها نفسي خديعة شاعر
بين الشغاف[٢] وفي مناى وفي دمي * ألقاك هاجَّةً[٤] وبين سرائري
أنساك؟ كيف وأنت بين جوانحي * شطري الجميل وأنت وحي خواطري
أنساك والآمال والذكرى معاً * موصولة بك في صميم مشاعري؟
وإذا هفوت إلى الجمال فإنما * أهوى مثالك في الجمال العابر
أنساك إذ أنسى حياتي كلها * فإذا حييت فأنت أول خاطر

---

(١) أكذوبة السلوان، الديوان، ص ٢١٣

(٢) رقرقات: من رقرق الماء: تحرك واضطرب إرسال أو لمع وبرق

(٣) الشغاف: غلاف القلب

(٤) هاجه: من هج يهج فهي هاجة: قال أجَّت النار واتقدت وسمع صوت استعارها

نبض الربيع فكنـــت أول نـــابض * فـــي خـــاطري يهفـــو وأول زائـــر
وهفوت للماضي الذي قد أ ودعت * نفســـي لديـــه رغـــائبي وذخـــائري
أنا ذلك الماضي الذي لا ينقضـــي * أنا ذلك الماضي يعـــبش بخـــاطري!

يبدو أن الشاعر أحس في نفسه بالسلوان، وأحسّ بمغاليق نفسه تتفـــتَّح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كل نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سمةٌ من الجمال الذي حسب نفسه قد سلاه وإذا هو يهفو إلى الماضي والماضي وحـــده دون سواه[١].

ومن أجود قصائده وأنجبها قصيدته "بعد الأوان"ولعلها هـــي القصـــيدة الأخيرة التي قرضها الشاعر وداعاً لمسيرة الحب. وحـــدث أنّ التـــي أحبهـــا الشاعر في أيام شبابه لم تبادله ذات الحب، بل خدعته خدعة منكرة، وجـــاءت يوماً –بعد أن طال الأمد– تعرض عليه تجديد العلاقة لكن الشاعر المجـــرب رفض ذلك العرض قائلاً:

الآن والأيام مدبرة، تولول بالنواح[٢]
والأفق مخضوب الأديم، وقد تأذن بالرواح
أقبلت ويحك تبسمين، فأين كنت لدى الصباح؟
وجه الخريف، يطل فاستمعي لأعوال الرياح!

قصيدة طويلة ختمها بالأبيات التالية:

هذي خطاي على الطريق وتلك واجفة[٣] خطاك
الريح تطمسها فلا خطو ولا أثر هناك
شبحان قد عبرا فلم تشعر بهذا أو بذاك
تتلوهما الأشباح والأيام ماضية دراك[٤]

---

(١) عبد الباقي حسين، ديوان سيد قطب، ص٢١٣

(٢) بعد الأوان، الديوان، ص ٤٩

(٣) واجفة: مضطربة

(٤) دراك: اسم فعل بمعنى أدرك؛ مغزى الأيام وما تحمله من عبر. أو من أدرك الشيء: أي حققـــت الأيام –في مضيها– ما تريد من الإنسان

سيد قطب شاعر: وهو متحمس للشعر الوجداني المصور للحالات النفسية. يتغلغل في جوهر الأشياء والموضوعات والطبيعة ويحلق فيما وراء العالم المادي المتجسد تاركاً الوصف الظاهري. وهو من الداعين إلى الشعر الغنائي الذاتي وإلى العناية بالفكرة أكثر من اللفظ. وشعره مصبوغ بالصبغة الوجدانية الصوفية.

جاءت تجربته عظيمة فريدة لاهتمامه بالانفعال والمشاعر والانطلاق في عالم المطلق والمتخيل قلما يتخلله لون من الواقعية. فالشطر الأكبر من شعره يصور القلق والتمزق والغربة والضّياع والحيرة. لا يدرك سر حياته وغاية الكون وحقيقة الروح. وكان ذلك نتيجة لتطورات خاصة وقعت في شخصيته الذاتية والثقافية والأدبية بعد حلوله بالقاهرة في أوائل العشرينيات وحتى منتصف الأربعينيات.

المبحث الثاني

قدرة الشاعر على الوصف والتعبير

قرض سيد قطب الشعر. وحمل في ذهنه أنواعاً من الصور في أبيات ومقطوعات وقصائد على نحو فني رائع. سيد قطب له القدرة على استخدام اللغة استخداماً جميلاً، قادراً على حمل الأفكار والمشاعر، يستنطق الجماد في صياغة تعبيرية متفردة، وذلك واضح في وصف الصحراء، والخريف والريف. انظر مثلاً قوله:

الأرض غير الأرض في دورانها * لتكاد من فرط السآمة لا تدور
والريح غير الريح في جولانها * لتكاد تكتم في جوانبها الزفير
والطير غير الطير في ألحانها * لتكاد تنعب بالخراب وبالثبور

تتآلف الأصوات في شعره، وتترابط في إيقاع جميل تطرب له الأذن، وتهتز له النفس والمشاعر. وتلك مزيته. تراه في قصيدته (مفرق الطريق) صاحب قدرة على إدارة حوار داخلي، وصراع باطني في طيّات الذات. في القصيدة وحدة الوزن والقافية، والاستخدام الأمثل للكلمات. يقول:

أنت أوغلت في الظلام طويلاً * فمتى يا رفيق تبقى القفولا[1]
يا رفيقي إذا قدرت فأوّب * إن هذا الظلام يضنى العقولا
أنا أخشى الضياء أبصر فيها * ذكرياتي تبدلت تبديلا
أنا أخشى النهار يكشف عني * كل وهم أروده تعليلا

إن السر العجيب في قوة التعبير، وحيوية شعره ليس في إبداع بريق الكلمات وموسيقى العبارات فحسب وإنما يكمن الإبداع في قوة إيمانه بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات. وإنه في هذا التصميم الحاسم له القدرة على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حيّة. والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس. انظر قصيدته (مفرق الطريق) (ومصرع حب). فالنأخذ (مصرع حب) كمثال لقوة التصميم لدى الشاعر. فإننا نجد القصيدة تعالج مشكلة الغيرة بين الرجل

---

(١) في مفرق الطريق: الديوان، ص١٤٥

والمرأة، في شكل مقاطع شعرية ثلاثة وهي صورة حركية للأحوال النفسية، والحياة الاجتماعية.

ليلة الشك والأسى والظلام * وجحيم الإقدام والإحجام[٢]
والعذاب الممض[١] لم يتصور * في وعيدٍ أو خطرة الأوهام

وقال في قصيدة اليقين[٣]:

أيهذا اليقين إنك قاس * ما تطلبّت كل هذا المصاب
أيها الشك ربما كنت خيراً * من يقين كالجدب بين اليباب[٤]

وفي مطلع القصيدة (المقطع) الثالث، الجنة الضائعة[٥] يقول:

فقدتك يا جنّتي الساحرة * وغادرت أفياءك العاطرة
وهمت تشردني المقفرات * وتلفحني كاللظى الهاجرة

فانظر إلى صياغة الكلمات في نظم بديع ورائع فالمقطع الأول (ليلة الشك) التي وصفها بألفاظ تلائمها (كالأسى) والظلام، والجحيم والأوهام.. شاعر يختار الألفاظ المعبرة عن المعنى.

وفي المقطع الثاني (اليقين) يجسّد اليقين الذي يبحث عنه لدرء الشك، فيصفه بالقسوة. وانظر إلى كلمة (أيهذا). وفي المقطع الأخير عن الجنة الضائعة وصف محبوبته بعد اليقين من الشك بالجنة. متحسراً لضياعها رغم يقينه من الشك، هذا وصف فوق الوصف، وتعبير فوق التعبير وشعور عظيم نبيل.

ثم انظر كيف أن سيد قطب وصف "العود" تلك الآلة الموسيقية حين قال:

---

(١) ليلة الشك: ص ١٨٢
(٢) الممض: المؤلم
(٣) اليقين، ص ١٨٢-١٨٣
(٤) اليباب: الخراب
(٥) الجنة الضائعة، ص ١٨٣

بحر البسيط

محلـــل القلـــب أنغامـــاً وألحانـــا * وملهم الوحي أسراراً وإعلانا[٢]
وموقظ النفس إن طافت بها ســـنة * وأنت تهمس بالأنغـــام وســـنانا
ومطلق الروح تسمو فـــي معارجهـــا * وتطرق العالم العلـــويّ أحيانـــا
وواهب الحسّ لطفاً فـــي مداركـــه * وموحى الشعر إحساساً وأوزانا
أسلت[١] نفسي بالألحـــان تنشـــدها * إنشاد ذي شجن قد هام تحنانـــا

ولكن مع هذا الوصف الجميل والقدرة على التعبير السليم إلا أن شعره لا يخلو من الركاكة، واستخدام الألفاظ الدارجة ويبدو أن هذا عيب في التعبير ولكنه قليل في بعض قصائده ينشدها وكأنها خطبة جماهيرية، لـــولا الـــوزن الذي يميزها من الخطبة، وهناك التكرار اللافت للنظر في بعـــض القصـــائد. انظر إلى قصيدة (هبل هبل).

هبل .. هبل رمز السخافة والدجل
من بعد ما اندثرت على أيدي الأباة
عادت إلينا اليوم في ثوب الطغاة
ملك تجلبت بالضياء وجاء من كبد السماء
هو فاتح.. هو عبقري ملهم
هو مرسل.. هو عالم ومعلم
ومن الجهالة ما قتل
رمز الخيانة والجهالة والدجل

ومن مآخذ التعبير بعده عن الصور الشعرية في بعض قصائده، تلـــك الصور التي تجعل بناء القصيدة قوياً رصيناً. مثلاً قوله في قصـــيدة (عـــودة الحياة).

---

(١) أسلت: من أسلى: جعله يسلو، وأسلاه عن الشيء: يسليه أي أنســـاه والمفـــروض تكـــون ســـليت (ضرورة شعرية)
(٢) العود، ص ٢٢٨

هامد الإحساس جاث بالضلوع * في حياة ذات نمـط واحـد[١]

الشاهد ركاكته الواضحة في (ذات نمط واحد). تعد هذه الوصلة تعبيراً نثرياً أكثر منه شعرياً. ومثل هذا النوع من عدم جودة التعبيـر قليـل لـدى الشاعر. لهذا يغلب على الديوان جودة التعبير وقوة ومتانة الوصف.

وهذا التعبير القوي ذو الوصف الجيد من كسـب خبـرات الشـاعر وتجاربه والمؤثرات التي وردت في الفصل الأول مما جعلت تجربته الشعرية زاهية، نسمع إليه في قصيدة الشعراء يقول:

منذ ما أَطْلِعْتُ في هذا الخراب * وأنا أسال مـا شـأني هنـا؟

"فلو قال الشاعر "منذ ما طلعت" لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أرغمت على الحياة (فاطلعت) دون إرادتها ولـم (تطلـع) هـي بمشيئتها. ومثل هذه الدقة كثير في الديوان"[٢]. فالوصف والتعبير الجيد نـابع من قوة وعظمة فكر الشاعر.

يقول الدكتور غنيمي في كتابه النقد الأدبي: "ليس صحيحاً ما نسـمعه ممن يزعمون أن لديهم أفكاراً كثيرة هامة، ولكنهم لا يصلون إلـى التعبيـر عنها، ففي الحقيقة لو كانت لديهم هذه الأفكار لصاغوها في كلمـات جميلـة عذبة فدلوا بذلك عليها. فإذا بدت الأفكار مستعصية هزيلـة، حـين يريـدون التعبير عنها، فذلك لأنها واهنة هزيلة في وضوحها في أذهانهم[٣].

---

(١) عودة الحياة، ص ١٠٩

(٢) عبد الباقي محمد حسين، ديوان سيد قطب، ط٣، ١٩٩٧م، دار الوفاء، المنصور، ص٣٦

(٣) د. محمد غنيمي هلال، مرجع سابق، ص ٢٧٣ – ٢٧٥

المبحث الثالث

الموسيقى الشعرية

كانت صياغة الشعر العربي منذ القدم في كلام ذي توقيع موسيقي ووحدة في النظم، تشد من أزر المعنى وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه. وطرب الإنسان للنغم قديمٌ كعهده بالفنون في عصره الفطري[١].

موسيقى الشعر غير وزنه. الوزن يتحقق بأي الألفاظ، أما الموسيقى تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة. ويمكن تصنيف الموسيقى الشعرية إلى ثلاثة أصناف:

١- موسيقى تعتمد على الألفاظ والتراكيب. وبالوزن تتحقق.

٢- الموسيقى الفكرية. وتتحقق بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها.

٣- الموسيقى الروحية. وتتحقق بالجو العام الذي يحسّ به القارئ للقصيدة، فيحف بالقارئ جوّ نفسي خاص دون أن يحدد أسبابه[٢].

شعر سيد قطب ليس رتيباً. لقد تمثلت فيه أصناف الموسيقى الثلاثة. فموسيقى شعره تمثلت في بحوره وقوافيه، أي في الإيقاع والوزن. ونقصد بالإيقاع وحدة النغمة التي تتكرر على نحو منتظم في البيت الشعري، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في أبيات القصيدة وهو ما يسمى بالتفعيلة في البحر العروضي. فمثلاً "فاعلاتن" في بحر الرمل تمثل وحدة النغمة في البيت. أي "توالي متحرك فساكن ثم متحركين فساكن ثم متحرك فساكن". لأن المقصود من التفعيلة مقابلة الحركات والسكنات فيها بنظيراتها في الكلمات في البيت، من غير تفرقة بين الحرف الساكن اللين وحرف المد والحرف الساكن الجامد. فمثلاً الإيقاع في قصيدة "عزلة في ثولة" كالآتي:

حديثي أنت يا نفسي فما * أفهم العالم أو يفهمني

حددثيني/ أنتـ يانف/ سي فما/ * افهمل عا/ لم أو يف/ همني

---

(١) د. محمد غنيمي هلال، مرجع سابق، ص ٤٣٥

(٢) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٣٥

فـــاعلاتن/ فـــاعلاتن/ فـــاعلن فـــاعلاتن/ فـــاعلاتن/ فعلـــن

ســـــالم/ ســـــالم/ محـــــذوف سالم/ مخبون/ محذوف مخبون

فحركه كل تفعيلة تمثل وحدة ا لإيقاع في البيـــت. أمـــا الـــوزن فهـــو مجموع التفعيلات (الإيقاعات) التي يتآلف منها البيت. لقد حافظ ســـيد قطـــب على وحدة الإيقاع والوزن في قصائده.

انظر إلى هذا البيت من قصيدة (يقظة) من بحر الوافر حين قال:

ســـــهرت إذن تعـــــالى حـــــدثيني * بما أحسست من حـــرق الحنـــين

سهرت إذن/ تعالى حـــد/ دثينـــي * بما أحسس/ تمن حرقل، حنينـــي

٠١٠١١/٠١٠١٠١١/٠١١١٠١١ * ٠١٠١١/٠١١١٠١١/٠١٠١٠١١

مفـــــاعلتن مفـــــاعيلن فعـــــولن * مفـــــاعيلن/ مفـــــاعتلن/ فعـــــولن

سالم[١] / معصوب/ مقطوفـــة[٢] * معصـــــوب/ ســـــالم/ مقطـــــوف

ثم انظر إلى بيت من قصيدة "خبيئة نفسي" من بحر الطويل حين قال:

خبيئة نفســـي مـــا تـــرى أنـــت إننـــي * أريدك في جـــو مـــن الضـــوء معلـــم

خبيئ/ تنفس ما/ ترى ان/ تئـــق فنـــى * أريد/ كفى حوون/ منضْ ضو/ء معْ لمي/

٠١١٠١١/٠١٠١٠١١/٠١٠١١/١٠١١ * ٠١١٠١١/٠١٠١١/٠١٠١٠١١/١٠١١

فعـــول/ مفـــاعلين/ فعـــولن مفـــاعلن * فعـــول/ مفاعيلن/ فعولن/ مفاعلن

مقـــبض ســـــالم ســـــالم مقبـــــوض * مقبوض / سالم / سالم/ مقبوض[٣]

إضافة إلى ذلك، فإن الموسيقى في أبيـــات قصـــائده تابعـــة للمعنـــى، والمعنى يتغير من بيت إلى بيت، حسب الفكرة والشعور والصورة المـــدلول عليها. فالمساواة في وحدات الإيقاع والوزن مدعاة ملل لو كانت تامـــة كـــل التمام أو توالت الكلمات متساوية تمام المساواة في صفاتها من حـــروف مـــدّ ولين وغيرها. ما دامت موسيقى البيت تابعة للمعنى، والمعنى يتغير من بيـــت إلى بيت، إذن لا يتلاءم مع هذا التغير في المعنى أن تكون هذه المساواة فـــي

---

(١) معصوب: تسكين الخامس المتحرك. مفاعلتن = مفاعيلن

(٢) مقطوف: حذف السبب الأخير من التفعيلة وتسكين المتحرك الخامس. مفاعلتن = معولن

(٣) المقبوض: حذف الخامس السكن – فعولن = فعول. مفاعيلن = مفاعلن

النغم تامة. لهذا كان شعره ليس بالشعر الرتيب، لتغير المعنى وعدم المساواة في النغم.

بعد الاطلاع على الديوان ودراسة موسيقى شعر سيد قطب لوحظ الآتي: أن الشاعر سلك أربع محاور لتجنب وإزالة الرتابة من شعره وهي كالآتي:

١- اختلاف التفعيلات.

٢- اختلاف حروف الكلمات التي تقابل حروف التفعيلات بعضها من بعض، ما بين حروف ساكنة وحروف مد طويلة (الاختلاف الصوتي).

٣- التنويع في داخل هذه الوحدة الموسيقية، وهو الإنشاد، أي قراءة الشعر على حسب ما يتطلبه المعنى.

٤- كلمات القافية وموسيقى البيت.

في المحور الأول وهو اختلاف التفعيلات أي إن تفعيلات البحور التي ذكرها لم تكن متساوية تمام التساوي. وذلك لأن تساوي التفعيلات يصيب القصيدة بالرتابة. مثلاً قصيدة من بحر الكامل متفاعلن ست مرات. فإذا جاء هكذا دون زحاف تصاب بالرتابة. سيد قطب يعلم أن التفعيلات التي تتكون منها البحور هي هي في كل الأبيات فللشاعر حريته في نقصها أو تسكين متحركها أو تحريك ساكنها على نحو ما هو مدروس في علم العروض (الزحافات والعلل).

وفي المحور الثاني، نقطة الاختلاف الصوتي. هذا الاختلاف الصوتي هو الذي ينوّع الموسيقى الشعرية، وينوّع معنى الإيحاء الموسيقي في الوزن الواحد. لقد استفاد سيد قطب من الاختلاف الصوتي في تنويع موسيقاه الشعرية. هذا التنويع الموسيقي جاء من وعيه لخصائص أصوات الكلمات وعياً يكاد يكون لا شعورياً لعمق دراسته اللغوية ورهافة حسه "رغم أن خصائص الكلمات من هذه الناحية الجمالية لم تدرس في العربية دراسة

منهجية يعتد بها"[١] انظر إلى الاختلاف الصوتي في قصيدته (غريب) من المتقارب:

أكاد أشارف قفر الحياة * وأشفق من هوله المرعب[٢]

فالمدّ في كلمة (اشارف) يناسب شكواه من الحياة المقفرة. في حين خلت الكلمة (أشفق) في الشطر الثاني من المد؛ وذلك لتحاكي معنى سرعة الإشفاق على الهول المرعب من هذه الحياة.

ثم انظر إلى كلماتٍ من قصيدة (نداء الخريف)[٣].

تعالي لم يعد في العمر متسع

تعالي لم يعد في الكون منتجع

تكاد الكلمات تتوالى وهي خالية من حروف المد؛ لأنه يصف لحظة يتمنى أن تمر سريعة ليشفي غليله وسقمه. هذا الإيحاء باختيار الألفاظ الملائمة للمعنى في تواليها ورسمها دليل لتمكن سيد قطب من لغته حتى أوحى إليه ذوقه بهذا الاختيار الصوتي إيحاءً يكاد يكون لا شعورياً. وهذا دليل على أن موسيقى الديوان ليست رتيبة.

أما المحور الثالث وهو الإنشاد ويقصد به قراءة الشعر حسب ما يتطلبه المعنى. يبدو أنّ سيد قطب اعتنى بهذا الأمر عناية فائقة. إذ أن الإنشاد يقتضي الضغط على بعض المقاطع والكلمات في ثنايا البيت الشعري. وإذا كانت الكلمات في اللغة العربية ينطق بمقاطعها على السواء وهي منفردة، فإن الكلمات في الجمل –خاصة الشعر– تقتضي نطقاً تكتسب به صفة خاصة وبه تتنوع موسيقاها. إذاً نظرت إلى الأبيات التالية من قصيدة (بعد الأوان) يقول فيها:

---

(١) د. عثمان موافي، د. سعيد الورقي، دراسات في النقد العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الجزء الثاني، ص٥٠

(٢) غريب، الديوان، ص ٦٣

(٣) نداء الخريف، ص ٩٦

عيناك والهتان لاهفتان كلهما دعاء[1]

وحنين ملهوفٍ تطلع في قنوت للسماء

ويحى فأين أنا وأين حنين أيامي الظماء؟

صمت الخريف يلفني وعليه شارات المساء!

فإنك تحس بضرورة طول الصوت في الكلمات الآتية:

اعيناك، والهتان، لاهفتان، كلهما، دعاء، سماء، طماء، شارات، مساء. حتى لو لم يكن هناك إنشاد جهري. فإن تمثل المعنى في القراءة الصامتة يقتضي تمثل موسيقى الأبيات مختلفة. إضافة إلى الاستفهام والتعجب في البيت الثالث والرابع على التوالي. ومن المسلّم به أن موسيقى الشعر تظل خاصة من خصائصه همساً أو إلقاءً.

في ديوان سيد قطب يظهر تنويع الصوت على حسب موضع الكلمة وإنشادها، ثم على حسب الاستفهام والتعجب والنداء والأبيات والنفي والأمر والنهي والاستجابة والدعاء وما إليها.

أما المحور الرابع الذي زان القيمة الموسيقية وزادها جمالاً هو كلمات القافية. فكلمات القافية لها صلة بموسيقى البيت الشعري. وهي في الشعر العربي ذات سلطان يفوق ما لنظائرها في اللغات الأخرى. فالقافية في ديوان سيد قطب لها قيمة موسيقية في مقطع البيت. لقد استغنى الشاعر في كثير من قصائده عن القافية بوضعها القديم. وألزم نفسه مقابل ذلك بنوع من القافية المتحررة. القافية التي ترتبط بسابقاتها أو لاحقاتها ارتباط انسجام وتآلف، دون إشراك ملزم في حرف الروى.

القافية في ديوانه سواء أكانت متحررة أم غير ذلك كلماتها ذات معان متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المستمع أو القارئ بأن البيت مجلوبٌ من أجلها، بل يشعر أن القافية مجلوبة من أجل البيت. معنى البيت مبنيٌ عليها ونهاية طبيعية للبيت، ولا يسد غيرها مسدّه. انظر إلى القافية في هذا البيت:

---

(١) بعد الأوان، ص ٤٩

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي * حننت لمرآهُ إلى الضفة الأخرى

فكلمة "أخرى" لها معنى متصل بأول البيت. وهي أنسب كلمة لتسد مسد القافية في هذا البيت.

لهذا يمكن القول أن الموسيقى الشعرية لديوان سيد قطب لم تعد رتيبة أو مألوفة للأذن. فهي موسيقى تصرخ وتثور تهدأ وتهمس تلين وترق لتتساوق مع الحياة نفسها. لقد قيل أن "موسيقى الشعر ليست تطريباً فحسب، بل هي وسيلة من وسائل التعبير والإيحاء، لا تقل أهمية عن التعبير اللفظي بل لعلها تفوقه"(١).

الشاعر سيد قطب مُلمٌّ وعارف بأسس جمال الموسيقى للقصيدة العربية. فالقصيدة في ديوانه بنية إيقاعية خاصة مرتبطة بحالة شعورية معينة لذاته. عند قراءتها تعكس لك هذه الحالة لا في صورتها التي كانت عليها من قبل في نفس سيد قطب؛ بل في صورة جديدة منسقة تنسيقاً خاصاً بها تساعدك على الالتقاء بها. وتُنسق القصيدة مشاعرك وفقاً لنسقها.

---

(١) د. عثمان موافي وآخرون، مرجع سابق، ص٥١

المبحث الرابع
الصور الشعرية

الصور الشعرية في ديوان سيد قطب عبارة عن مجموعة علاقات لغوية خلقها الشاعر ليعبر عن رؤياه الخاصة؛ وذلك لعجز اللغة العادية المبنية على التتميم والتجريد. فجاءت الصورة مطبوعة بمشاعره، ولا يمكن توضيحها؛ لأنها صورة مكثفة لأحاسيس نفسية غائصة في اللاشعور، كما إنها نتاج لتداخل الحدس والفعل البشري.

قوة عاطفته وانفعالاته لم يتسع لها النسق المعتاد للغة، فبحث عن الرمز والصورة بحثاً عن علاقات جديدة وأنساق خاصة تضطلع بهذه المهمة. وجاء النسق الجديد محملاً بصورة شعرية تعبّر عن عالم سيد قطب الداخلي، ورحلة فكرته، التي تأخذ أحياناً من العالم الخارجي صورتها العيانية، ومن العالم الداخلي بعدها الانفعالي المختلط. وهي بذلك تجربة غير محدودة. لها عوالم مرئية وغير مرئية. فقامت الصورة الشعرية بالتوثيق بين هذه العوالم، وبتحديد ألفاظٍ داخل نسق خاص وقولبتها، فكانت وعاء لهذه التجربة.

الصور الشعرية في الديوان ابتعدت كثيراً عن النمطية والتكرار والإسراف في التشبيه أو التضخيم أو المبالغة في تصوير العواطف والانفعالات. جاءت الصور الشعرية تعبيرية إيحائية لا تقف عند حدّ الحس، ولا تسلك مسلك الوصف المباشر أو البرهنة العقلية. جاءت الصورة بلغة عاطفية مألوفة جزلة. صور شعرية مطبوعة بالصبغة الوجدانية الصوفية بكل انفعالاته ومشاعره.

جاء الشطر الأكبر من شعره صوراً للقلق والتمزق. يجد نفسه ضائعاً حيراناً، لا يدرك سر حياته وغاية الكون وحقيقة الرّوح، مستشعراً الخطر، داقاً أجراس النجدة، ومعبراً عن الألم الحقيقي المحيرّ، ومصوراً صور الفرار من الحياة والطيران إلى دنيا الوهم انظر إلى قوله:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي * حننت لمرآه إلى الضفة الأخرى

إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى * معالم للازمـــان والكـــون تســـتقرا
فليس هنا "أمس" وليس هنـــا "غـــد" * ولا اليوم فالأزمان كالحلقة الكبرى

عبر سيد قطب بالصورة عن المعنى الذهني والحالة النفســية. وعبــر عن الحادث المحسوس أو المشهد المنظور. وعبّر عن النموذج الإنساني وعن الطبيعة البشرية. ثم ارتقى في كثير من قصائده بالصــورة يمنحهــا الحيــاة الشاخصة والحركة المتجددة. فإذا ما أدركنا أن الأداة التي تصــور المعنــى الذهني والحالة النفسية إلى آخر هذه الحالات هي ألفاظ لا ألوان تصــور ولا شخوص تعبّر، أدركنا قيمة الديوان؛ لإشراكه الوصــف والحــوار وجــرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق، في إبراز تلك الصــور الشــعرية المنتزعة من عالم الأحياء. صور تقاس الأبعاد والمسافات فيهــا بالمشــاعر والوجدانيات. صورٌ كشفت وأبانت فكرته وعاطفته لكل من يقرأ الديوان. وقد قيل: "الصور الأدبية هي الوسيلة التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه"(١).

فالصور في الديوان كثيرة ومتنوعة. انظر إلى هــذه الصــورة التــي رسمها الشاعر متنكراً للدنيا والحياة فيها، متبرماً من الناس، لا لأنــه يئــوس قانط؛ بل لأنه يرى الناس منحدرين من منزلتهم الرفيعة إلى الدرك الأسفل من الشر والفساد. حين قال:

أأناســـــياً أرى أم حشـــــرات * شوهت من طلعة الكون الجميل(٢)
يشبهون الناس في تلك السمات * بينما أنفســهم رجــس يســيل
حقروا الكون وأغراض الحيــاة * حســبوها دنســاً فــي دنــس

وصورة أخرى تعبر عن قسوة الحياة وخيبة الأمــل. يــرى الشــاعر الشمس تشرق لتزيده حسرةً وشعوراً بالحرمان. وذلك حين قال:

---

(١) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٢٤٧
(٢) قصيدة اضطراب حانق، الديوان، ص٤٢

ماذا سيولد يــوم يولــد ياغــدي * إني أحس بهول هذا المولد[١]
سيصرخ الشك الدفين بمهجتــي * فأبيت فاقد خير ما ملكت يدي
لا مرتجى يرجى ولا أسف على * ماض يضيع كأنه لــم يولــد
أبداً ولا ذكرى تجدد ما انطــوى * حتى التألم لا يعود بمشــهدي
رباه إني قــد ســئمت تــرددي * فالآن فلتقدم بهولك يا غــدى

وصورة أخرى رسمها الشاعر بحثاً عن نفسه الضائعة في كل مكــان. بحث عنها في السهول والرياض والليالي القمراء. وذلك حين قال:

انقب عن نفسي التي قــد فقــدتها * بنفسي التي أحيا بها غير شاعر
وأطلبها في الروض إذا كان همها * تأمله يقضــى بتلــك الأزاهــر
وفي الليل إذ يغشى وكانت إذا غفا * تيقظ فيها كل غــاف وســادر
وفي الليلة القمراء إذ تهمس الروى * وتومئ للأرواح إيماء ســاحر

وصورة أخرى يسخر من شباب الأمة العربية البائس ينادي فيهم بــأن يتركوا حياة التنعيم والكسل، وذلك حين قال[٢]: من بحر الرمل:

يــا شــباباً ناعمــاً مســتأنثاً * كذوات الخدر في ظل الخبــاء[٣]
يــا شــباباً تافهــاً محتقــراً * تأنف الأجيال منــه فــي ازدراء
يــا شــباباً همــه لذاتــه * فهو يحيا بــين كــأس وخنــاء[٤]
يــا شــباباً قصــرت آمالــه * كخشاش[٥] الأرض مرماه الغذاء
يــا شــباباً نكــب النيــل بــه * في الأماني والــتعلات الوضــاء
يا شباب النيل هــل أبصــرتمو * في فتى السودان كيف الشــهداء

(١) قصيدة الغد المجهول، الديوان، ص٦٢
(٢) قصيدة البطل، الديوان، ص ٢٥٩- ٢٦٣
(٣) الخدر: ذوات الخدر: القيعات الأبكار اللاتي يلازمن خدرهن
(٤) الخناء: المراد الفساد
(٥) خشاش: حشرات الأرض

فالصور الشعرية في ديوان سيد قطب بها صدق الشعور وقوة التفكير والقدرة البيانية. لهذا جاء أدباً قوياً لا يستهان به، وتجربة شعرية لها مكانتها بين الأدب الحديث. قيل: "الأدب القوي الخالد يقوم على ثلاثة عناصر:

١- صدق الشعور وصحة التفكير ٢- الرغبة الصادقة في نقلها إلى القراء كما هي ٣- القدرة البيانية المتجلية في الصور الأدبية"[١] فالصورة الشعرية جاءت مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ، وبجرسها الموسيقي، ومعانيها المجازية. فأثاره قوة العاطفة وسرعة تأثيرها.

(١) أحمد الشايب، النقد الأدبي، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٢١٥، ١٩٩٩م

المبحث الخامس
الخصائص الفكرية

لكل شاعر خصائص فكرية يتناولها في شعره. فالقصيدة الشعرية تنمّ عن إحساس معين وعاطفة تدور حول أفكار الشاعر، فينتج من خلال الفكرة رأياً محدداً، ذلك لقدرة الشاعر على تحويل الصور الذاتية الفردية من عالم اللا شعور المكبوت إلى خصائص فكرية وصور عامة في عالم الشعور. هكذا قال العالم فرويد عندما قال: "إن الكبت يقع المرء منه فيما يشبه الحصار، يتبعه أن الذات تدافع عن نفسها للخروج من هذا الحصار، فتبذل جهداً من شأنه أن يضعف الذات ويوهن قواها، ولكن الكبت –في منطقة اللا شعور– قد يبحث عما يعوض الذات بأعمال تؤكد بها هذه الذات نفسها، وتنفّس عن نفسها بهذا التعويض وبه يقلّ أثر الكبت... والفنان والشاعر يستطيع كلاهما أن يحول هذه الطاقة المكبوتة إلى عمل فني أو أدبي يتسامى عن مجرد الكبت.. فيتحقق التطهير الذاتي في عمل فني اجتماعي بطبيعته"[(١)].

لقد استعاض الشاعر عن حرمانه لأشياء عديدة في حياته بالهرب. فلجأ إلى الهروب إلى عالم الخيال الأسطوري، وظل مولعاً بالشكوى والتأمل في هذا الكون ومعرفة سرّ الحياة فيه. فالخصائص الفكرية في الديوان عديدة. بالإضافة إلى نزعة الهروب من الواقع، والفرار إلى عوالم أخرى، لجأ ليبحث عن كنه حياته ثم التعمق في الحياة نفسها لمعرفة مركز الغموض ومحاولة الكشف عن أسرارها ومجاهيلها. لقد حاول الشاعر بغاية جهده أن يجد حلاً لهذا اللغز. انظر إلى هذه الأبيات من قصيدة "السر" حين قال:

بحر الطويل

دلفت إلى وادي المنايا لعلني * أفوز بسرّ في حناياه غائر[(٢)]
أما تعلمون السر في خلق عالم * بموت ويحيا بين حين وآخر

---

(١) محمد غنيم هلا، مرجع سابق، ص ٤٠٣/ ٤٠٤ (النقد الأدبي الحديث)
(٢) السر: الديوان، ص ١٢٤

وتكنفه الأحداث من كل جانـــب * ويركب للغايات شتى المخاطر

ومن خصائصه وأفكاره الشعرية جنوحه إلى الشكوى مـــن محبوبتـــه والتمرد عليها مطلقاً الآهات والزفرات. انظر إلى قصيدته (زفرات جامحـــة مكبوحة)[١] حين قال:

بحر الكامل

اذهب وخلفنـــي هنـــا متألمـــاً * لا تلقني ســـمحاً ولا متجهمـــاً
اذهب وخلفني تذوب حشاشـــتي * ويبض قلبي من قرارتـــه دمـــا
اذهب فلن أشكو إليك عواطفي * يومـــاً ولـــن ألقـــاك إلا أبكمـــا
أرخصت حبي إذ بثثتك بعضـــه * فليبـــق مكبوحـــاً إذن فتكتمـــا
إن كان بث الحبّ عندك مأثمـــاً * فكذاك عندي سوف يغدو مأثما

ومن خصائصه الشعرية، أفكاره التي تنـــوء بالســـخرية مـــن القـــدر والزمن.كثيراً ما يتناول في أشعاره أفكاراً كهذه. يتـــربص بالقـــدر والـــزمن ويشعر كأنهما عثرات في تقدم حياة الناس. نسمع إليه يقول:

أغلب الظن وقد تدرى الظنـــون * أنها ألعاب دهـــر ســـاخر[٢]
مـــاهر يهـــزأ بالمســـتهزئين * يبعث النكتة عفـــو الخـــاطر

وتارة أخرى يرى الكون ذا طبع قبيح لا إحساس ولا ضمير له. وذلك حين قال:

غير أن الكون ذو طبـــع صـــفيق * ناصب الإحساس ممسوح الضمير
يحقر الإخلاص في القلب الشفيق * ويرى القـــدر بإعجـــاب جـــدير

وفي قصيدة أخرى يقول:

وإذا الكـــون حواليـــه خـــراب * موحش الأرجاء مفقود القطين[٣]
وهو يرنو في وجوم واكتئـــاب * يكتم العبـــرة فيـــه والأنـــين

(١) زفرات: جامحة مكبوحة، الديوان، ص ٤٤
(٢) قصيدة سخرية الأقدار، الديوان، ص ٥٥
(٣) في الصحراء، ص ١١٥

تارة أخرى يستعيض عن حرماته بحلاوة أيام الصبا وجمال الريف والغزل العام. ثلث أشعاره تدور أفكارها حول الغزل العام، والحنين، وذكرى أيام الصبى، والماضي البعيد. نسمع إليه يقول في قصيدته (حلم الفجر).

بحر الخفيف

عجباً أنت ما تزالين حلمي * ومثالي وفكرتي ونشيدي[١]
ما تزالين في خيالي رمزاً * لرجاءٍ منوّر من بعيد
ما تزالين حافزاً لجهودي * ما تزالين غاية لوجودي

لقد جاء الشاعر في قصيدته (عهد الصغر)[٢] بكلمات ملؤها الحنين والشوق والحب والوفاء لأيام الصبا والماضي البعيد وذلك حين قال:

بحر المتقارب

لعهد الرضاء وعهد الحبور * وعهد الصفاء القليل الكدر
أنام وأصحوا على ما أشاء * طروب الفؤاد قرير النظر
وتصحوا الغزالة[٣] من خدرها * فتزهو الورود ويحيا الزهر

هذه بعض خصائص أفكاره التي خلقت حالة وموقفاً وانطباعاً لحياة الشاعر. خصائص وأفكار جاءت أثناء إبداعه لقصائده عن طريق التركيب الذي تتمازج فيه جميع مظاهر القصيدة "فالقصيدة حمل يرفعه الشاعر إلى السقف جزءاً جزءاً والقارئ هو العابر الذي يقع الحمل على رأسه دفعة واحدة، ومن ثم يحس في لحظة تأثيراً جمالياً كاملاً لم يعرفه الشاعر أثناء إبداعه للقصيدة"[٤]. فالقارئ هو الذي يعلم إذا كانت العاطفة هي الغاية الأولى والفكرة سنداً لها.

لقد أشار أحمد الشلبي حين قال: "إذا كانت الأفكار الغرض الأول في الكلام ودخلت العاطفة لتبعث في الأفكار روعة وقوة كان الناتج أدباً عاماً.

---

(١) حلم الفجر: الديوان، ص ٢٢١

(٢) عهد الصغر، قصيدة من الديوان، ص ٧٣

(٣) الغزالة: يقصد الشمس

(٤) د. إحسان عباس، فن الشعر، ط١، ١٩٩٦م، دار الشروق، عمان، ص٦٤

وإذا كانت العاطفة هي الغاية الأولى والفكرة سنداً لها.. كان الناتج أدباً خالصاً ويعد من الفنون الرفيعة"[١].

من أهم ما يميز خصائصه الفكرية هي العاطفة. كانت العاطفة هي الغاية الأولى. ثم جاءت صياغة تلك الخصائص الفكرية بعبارات تختلف باختلاف العاطفة. فإن كانت العاطفة متوسطة أو قصيرة الأمد كإعجاب الشاعر بالوردة أو "موت سوسو"، جاءت العبارة سهلة ميسرة. وإن كانت العاطفة عميقة خالدة تتصل بأصول الحياة وطبائع الناس كقصيدة "الشاعر في وادي الموتى" أو "في الصحراء" أو "صدى الفاجعة"، جاءت العبارة جزلة وصورها محكمة.

هذه الخصائص والمزايا الفكرية نشأت لديه لظروف بيئية واجتماعية وسياسية عاشها سيد قطب. وكلها مزايا وخصائص تصلح لموضوعات شعرية ربما تكون أرقى وأجمل من هذه. لكن يبدو أن سيد قطب كان منشغلاً بقضايا أكبر من الشعر. كان يبحث عن الحل، حل اللغز المحير لهذه الحياة، كان يسعى للوصول إلى اليقين والاطمئنان النفسي والروحي. كانت تؤرقه كثيراً صور الاستبداد والظلم والاستعمار الجاثم على أرض مصر والبلاد العربية والإسلامية الأخرى، فوجد بغيته في جماعة الإخوان المسلمين. فبدل أن يكون شاعراً، أصبح مناضلاً ومفكراً وأديباً وفيلسوفاً إسلامياً. هذا هو الخيار الذي اختاره سيد لنفسه مستغلاً تلك الخصائص الفكرية في موضوعات أكبر، لها شأنها ومكانتها في تلك الظروف التي كان يعيشها.

---

(١) أحمد الشلبي، أصول النقد الأدبي، ط١٠، ١٩٩٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٢٤٢

المبحث السادس
الصور البلاغية

ديوان سيد قطب مملوء بالصور البلاغية الرائعة وهذا دليل على تمكن الشاعر من إظهار النواحي الجمالية والإبداعية. ودليل آخر لعمق عاطفته وخلودها، وجمال وروعة صوره الشعرية المطبوعة بمشاعره وأحاسيسه النفسية المكثفة الغائصة في اللا شعور، لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من تشبيهات أو استعارات أو كنايات ومحسّنات بديعية، أتت عفو الخاطر.

لقد نأى سيد قطب بنفسه عن مذهب الصنعة الذي يقود إلى التكلف ويقلل من جودة النص الأدبي وحسن الأداء. سنورد هنا بعض النماذج للصور البلاغية على سبيل المثال لا الحصر. لنأخذ مثالاً لحسن التعليل، وذلك عندما استنكر الشاعر ظلام الكون الطبيعي وجعله مظلماً بسبب تضجره وغيظه من المهجو. كما جعل إنارة الكون بسبب مغادرة ذلك المهجو. تسمع إليه يقول:

إن وجه الكون مغبر عبوس * بهمو فليغربوا عنه ينير

وجاء تشبيه التمثيل عندما شبه حالة الزهر والروض اليباب بحالة الأطفال الأيتام والبؤس يغطي وجوههم. وذلك حين قال:

وإذا الزهر في الرياض أسيف * كصغار الأيتام في يوم عيد

ثم وردت الكنايات طريفة ظريفة. انظر إلى البيتين الآتيين:

أنت أوغلت في الظلام طويلا * فمتى يا رفيق تبغى القفولا

أنا أخشى النهار يكشف * عني كل وهم أروده تعليلا

فالكناية في كلمتي "الظلام والنهار". والظلام كناية عن الماضي الأليم. والنهار كناية عن المستقبل المجهول. إضافة لما فيهما من طباق. طابق الشاعر بين الظلام والنهار. ثم انظر إلى الكناية في البيت الآتي:

اذهب وخلفني تذوب حشاشتي * ويبض قلبي من قرارته دما

الكناية في كلمة "يبض قلبي" كناية عن الغضب.

ومثال للاستعارة المكنية:

هــوّم النــوم وأرخـــى ريشـــه * واحتواني بجناح قــد تــدلى

شبه النوم بطائر وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهــو الريش والجناح على سبيل الاستعارة المكنية.

الاقتباس:

هل كان إلا في العظام مــوئلا * في يوم تشخص عنده الأبصار

اقتبس الشاعر من القرآن الكريم الآية ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عمــا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾[1].

التجريد:

ضـــــقت بالقيـــــد فـــــانطلق * أيهـــــا الآبـــــق الشـــــرود

جرّد الشاعر من نفسه شخصاً آخراً وراح يخاطبه.

الطباق:

إني لألمح طيفاً منك يؤنســني * في وحشتي بين أيقاظ ونــوّام

حين طابق الشاعر بين إيقاظ ونوام وهو طباق إيجاب.

سنه ومــرت والنيــام تيقظــوا * فليعلموا من نحن أو لا يعلموا

طابق الشاعر بين "يعلموا" ولا يعلموا وهو طباق سلب.

الجناس:

أين رأس الركب أم أيان ســارا * ما أرى في أثره حتى غبــار

جانس الشاعر بين (أين وإيّان).

لكن سأكتم ما تكــن جــوانحي * وأعيش مكبوح الجوى مستسلما

جانس الشاعر بين "جوانح وجوى".

المبالغة:

الأرض غير الأرض في دورانها * لتكاد من فرط السآمة لا تدور

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢

دوران الأرض لا يتغير. وأي تغير يجعل الأمر مستحيلاً ولكن كلمة "تكاد" قرينة جعلت الأمر مقبولاً.

الإطناب:

إن روحي قد تناست "خذ وهات" * وانزوت في عالم جم السكون

لقد أتى الشاعر بعبارة "خذ وهات" في وسط الكلام لا محل لها من الإعراب. ولكن جاءت الزيادة لفائدة المعنى.

اللف والنشر:

ويا طالما غنت ويا طالما أبكت * سرور بقرب أو حنيناً إلى ذكرى

لقد لف بين شيئين (غنّت وأبكت) في الذكر، ثم اتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين. ثقة بأن السامع يرد كل منهما إلى ما هو له.

رد العجز على الصدر:

وحدة الأرواح أنكى الوحدات * وحدة الأجسام تنسى وتهون

حيث وردت كلمة "وحدة" في حشو الصدر ثم كررها في حشو العجز.

المجاز اللغوي:

أسأل الشمس أحقاً والقمر يوافق

فالأصل أسأل ضوء الشمس بجرِّ "الشمس" وجاء النصب مجازاً. أي بنزع الخافض.

القسم الثاني من الفصل الثالث

المبحث الأول

شخصية الشاعر من خلال شعره

إن الشعر مرآة الشاعر. ترى من خلال شعره ما يدل عليه وينبئ عنه. شخصية الشاعر ومعالمه تبدو واضحة من خلال الديوان، بالاطلاع والتفنيد بين ثنايا وطيّات هذا الديوان نستخلص الصورة الآتية لشخصية سيد قطب.

لقد اجتمعت فيه مزايا وخصائص جعلته متفرداً فهو الشاعر الموهوب المصوّر للأشياء. أبدع في فن الشعر وفن التصوير. كان فصيح اللسان، قوي الشكيمة. كان يؤمن بفكره النابع من شعوره الداخلي. فهو مثال للأديب الطموح المتسلح بقوة الإرادة لتحقيق الذات. له جرأة وذوق في تناول موضوعاته. يتأثر كل من يقرأ شعره لانطلاقه في عالمه المطلق المتخيل الذي قلّما يتخلله لون من الواقعية.

سيد قطب شخصية شاعرة. يملأ قلبه الحب العام الذي يغمر النفوس فلا يدع مجالاً للحقد والبغضاء. عطوف حنون. يود أن يعم الكون الود والعطف. لقد أحب المرأة والصديق والعهود الماضية والدروب البالية والطيور المغردة، بقلب يحفظ الود، لا يرائي ولا يخون. وهو القائل:

هو قلب ما درى كيف السرور * لا ولا كيف يرائي أو يخون
يحفظ الود وحاشا أن يخون * ولكم بكى لمرأي البائسين

كان شاعراً صبوراً حين يصاب في نفسه ويائساً لمصاب غيره. نسمع إليه يقول:

عجبت لنفسي لا تراع من الأسى * ويقتلها خطب ينيخ على غيري
ويا ربما أبكى لمن خلت بائسا * على حين يقضي ليله باسم الثغر

كل ذلك الحب يسير معاً في تيّار واحد، وبقوة تكاد تتماثل؛ لأنها جميعها ترجع إلى معين واحد. وهو معين الحب العام في تلك النفس الحانية الرؤوم[١].

يبدو وكأن الحياة المعاصرة قد حاصرته بواقعها المر. وكانت آماله ومطامحه تداعبه من حين لآخر فيصطدم بواقع الحياة المر فترده خائباً خاسراً فيسقط فريسة الضياع والتمرد والشكوى، ولكنه في كل هذه الحالات كان قوي الشكيمة، ذا عقل صائب، ليرى به هذا الحصار وهماً وشبحاً يزول في يوم ما. نسمع في قصيدته (خطا الزمن الوثاب) حين قال:

بحر الطويل

خطا الزمن الوثاب بعض التوثب * إلى أين؟ قد أوغلت في غير مذهب[٢]
تمرين كالأوهام لا أستبينها * وتمضين عني موكباً إثر موكب
تشابهت الأبعاد عندي فما أرى * أمامي فرقاً بين ناء ومكثب[٣]

يرى الشاعر أن الزمن والناس من حوله يسيرون في الاتجاه الخطأ، وهو يسير في الطريق الصحيح. فكان يؤمن أنه لا بد أن يعود الزمن إلى رشده وأيضاً الناس من حوله. ويعيش الشاعر والناس من حوله معيشة الطلقاء ويمتلك الدنيا وما فيها ليزرع ويغرس ويحصد خيراتها. نسمع إليه يقول في قصيدته (الكون الجديد) حين قال:

بحر الوافر

نعيش معيشة الطلقاء[٤] فيه * وكون الناس يثقلهم قيودا[٥]
ونملكه وما الأحياء إلا * أجيري هذه الدنيا عبيدا
ونبذر فيه آمالاً وضاء * فينبت غرسها الطلع النضيدا

---

(١) الكشميري، مرجع سابق، ص ١٦١
(٢) خطا الزمن الوثاب، ص ٦٨
(٣) مكثب: قريب
(٤) الطلقاء: الأحرار
(٥) الكون الجديد، ص ١٩٥

ثم ظهر سيد قطب كشاعر وطني قومي. محباً لوطنه وأمتـــه غيـــوراً لدينه. في قلبه حب لمصر نسمع إليه يقول.

مجزوء المجتث

في النفس يـــا مصـــر شـــوق * لخطـــــرة فـــــي ربـــــاك[1]
لضـــــــمة مـــــــن ثـــــراك * لنفحـــــــة مـــــــن هـــــواك
لومضـــــــة مـــــــن ســـــماك * لهـــــــاتف مـــــــن رؤاك
لليلـــــــة فيـــــك أخـــــرى * مـــــع الرفـــــاق هنـــــاك
ظمـــــآن تهتـــــف روحـــــي * متـــــــى ترانـــــــي أراك

ليس في شعره ما يشين أو يشكل مغمزاً في حياتـــه أو شخصـــيته أو يضع من قدرها كشخصية بارزة في الفكر والأدب. وكانت علاقتـــه بوطنـــه ليست علاقة مادية، إنها علاقة روحية عاطفيـــة معنويـــة لا يســـعها القالـــب المادي.

(١) هتاف روح، الديوان، ص ٩٩

المبحث الثاني
معجم الشاعر اللغوي

للشاعر سيد قطب منهج لغوي فريد، خاص بـــه. ويبـــدو أن معجمـــه اللغوي يدور في ثلاثة محاور. محور الذات، ومحور هموم الناس ومشاكلهم، ثم محور عام يجاوز نطاق الذات والناس إلى نطاق أوسع وأرحـــب كـــالكون والحياة.

المحور الأول:

هذا المحور ينحصر في قصائده في مجال الشرود والشكوى والعاطفة. في هذا النوع من القصائد يستخدم الشاعر اللغة التي يخاطب بها ذاته بألفـــاظ ذات دلالات شخصية منها: باصرتي، بصيرتي، أشفقت... وجاءت كلمات هذا المحور رقيقة عذبة. نسمع إليه يقول:

حتى إذا لاح اليقـــين خلالهـــا * أشفقت من وجه اليقين الأسود[1]

لا مرتجى يرجى ولا أسف على * ماض يضيع كأنـــه لـــم يوجـــد

ويستخدم الشاعر في هذا المحور ألفاظاً انتفاخية، تملأ الفـــم، وتتقـــوى به، كلمات مثل: ساخرة، حائرة، وضامرة، ظافرة. ولكنها جاءت كلمات لهـــا رنين وصوت قوي. كلمات تخرج من الفم لتكشف عما في دواخله. نسمع إليه يقول:

ألست التي نبضـــت بـــالوجود * فشق قـــوى العـــدم الســـاخرة

بلى أنت سر انتصـــار الحيـــاة * على الموت في الوقعة الطافرة

وكنـــت نـــواة بهـــا ضـــامرة * فعـــدت حيـــاة بهـــا ســـافرة

المحور الثاني:

وهذا المحور يشكل القصائد المنظومة في النـــاس والهمـــوم العامـــة. يتحدث بلغة قضايا الناس ومشاكلهم وتنحصر قصائده فـــي إطـــار الواقعيـــة.

---

(١) الديوان، ص ، مصرح حب، ص ١٨١

لتعالج مسائل راهنة واقعية في إطار الدولة الواحدة. كالحنين إلى الوطن ومقتضيات سبيل الجهاد. مثالاً لذلك قصيدته (مأساة البدارى) التي استدعى لها الألفاظ الحزينة والكلمات القوية المعبرة عن تلك المأساة وتلك الوحشية التي حدثت لأهل قرية البدارى. انتهاك للعرض والشرف. فجاءت كلماتها وألفاظها مليئة بالأسى مثل: يثلم، نزل، حقير، نسام الخسف... وذلك حين قال:

ومن الذي سام النفوس مهانة * يأبى ويأنفها الذلول الأعجم[1]

وكرامة يشتط في تحقيرها * نزل حقير القلب لا يتأثم

عهد نسام الخسف فيه وتبتلى * نقما إذا قمنا نضج ونتقم

وكذلك يستخدم ألفاظاً تصور عظمة الأشياء من مثل شخوص وهبول.. وذلك حين قال:

ورأينا الأوهام تبدو شخوصاً * ورأينا الشخوص تبدو هبولا

يا رفيقي إذ قدرت فأوب * إن هذا الظلام يضنى العقولا

المحور الثالث:

وفيه يستخدم الشاعر لغة تتجاوز نطاق الذات إلى نطاق أوسع كالكون والحياة والوطن الكبير. وفي هذا المحور فيه لون من إطار الواقعية كأزمة فلسطين وغيرها يتحدث فيها عن هموم أمته. لقد كبرت اهتمامات الشاعر ونمت ميوله الأدبية نحو ساحات أرحب وأوسع من ذي قبل. يشحذ همم الشعوب واستنهاض شبابها نحو الكفاح والنضال لتحريرهم من نير الاستعمار والاضطهاد. وفيه استخدم الشاعر ألفاظاً تحريضية حماسية قوية معبرة، مثل يهراق، يضريه، تفحموا، الدخيل، محجم.. وذلك حين قال:

عهد على الأيام ألا تهزموا * فالنصر ينبت حين يهراق الدم[2]

إن الخلود لمن يطيق ميسر * فاليمض طلاب الخلود ويقدموا

وطن يقسّم للدخيل هدية * فعلام يحجم بعد هذا محجم

---

(١) مأساة البدارى، الديوان، ص ٢٨١

(٢) إلى البلاد الشقيقة، الديوان، ص ٢٧٩

الشرق ويح الشرق كيف تقحموا * حرماته الكبرى وكيف تهجموا

وفيما تقدم يتبين أن الشاعر اتّبع منهجاً لغوياً خاصاً. تأتي كلماته وألفاظه متناسبة ومواضيعه التي تناولها. يتخذ منحى الحماسة في شعر الوطنيات، ويستدعي الكلمات الرقيقة في شعر الحب العام والغزل، وتارة تأتي الكلمات في شكل إشارات ينضح منها المعنى العام وتارة أخرى تأتي كلماته صريحة معبرة وأخرى يستخدم لغة تبلغ النفوس وتلتهم الأنفاس فيكون لها صداها عند القارئ. وكل هذا ينبئ أن للشاعر معجمه اللغوي الخاص بشخصيته وثقافته الواسعة.

معجمه اللغوي له طابع خاص به. يدل على تجارب خاصة وطريقة في التخييل والتفكير والتعبير ليست لغيره. وفي هذه المحاور الثلاثة التي دار حولها، نجد رقةً تخالطها قوة، ووضوحاً في غير تكلف وفكرة تسند العاطفة وتحيا بها. قد استطاع الشاعر التنقل بين أجزاء القصيدة الواحدة بسهولة ويسر وذلك باستخدامه الألفاظ والمعاني التي تناسب كل محور. فيلتحم ويلتئم أجزاء النظم بفضل معجمه اللغوي.

المبحث الثالث

سيد قطب بين الشعر والنقد

كل مبدع في داخله مشروع ناقد. عندما يكتب الشاعر القصيدة، يرتب له الناقد في نفسه الأبيات، ويصوغ الألفاظ في ذهنه بعد رصد المعاني فتكتمل عنده الروية النقدية.

والروية النقدية متى توفرت لدى الشاعر تجعله واقعياً. يرتبط ما يكتبه بأمور الناس، وقضايا الحياة. ويؤثر تأثيراً مباشراً في استنهاض الشعر. فتكبر الاهتمامات، وتنمو بنمو العقل البشري، مع الرؤية النقدية. أما الرؤية النقدية لديوان سيد قطب فيمكن ملاحظة الآتي: في شعر سيد قطب بعض القصائد التي لا تلتزم بالميزات الشعرية المعروفة. فمثلاً قصيدته "هبل هبل" جاء ذكرها في مكان آخر من هذا البحث. فهو يصب نغمته على خصمه الذي قاده إلى السجن بأسلوب ضعيف وألفاظ دارجة ويعبر عن حنقه وغضبه الشديد باستخدام عبارات أفقدت القصيدة مكانتها بين القصائد. بالإضافة إلى كثرة التكرار في كثير من القصائد. انظر إلى قصيدته (الحب المكروه) كرر الشاعر كلمة كرهتك ثلاث عشرة مرة.

كرهتك أيها الحب * كراهة محنق غاضب[1]

كرهتك حيرة كبرى * جحيما كله حرق

كرهتك لم يعد قلبي * كرهتك فارتحل قدما

في ديوانه بعض المآخذ. بعض القصائد تغفل الخصائص الفكرية العامة وتنحصر في الأفكار الخاصة. نجد هذا واضحاً في فصل الوطنيات. لم تتجه رؤيته لهموم ومشاكل الناس جميعهم، بل حصر فكره في ذاته. نسمع إليه يقول في قصيدته (هتاف روح).

---

(١) الحب المكروه، الديوان، ص ٢٠٠

بحر مجزوء المجتث

فـــي الجـــو يـــا مصـــر دفء * يـــــدني إلـــــيّ خيالـــــك[1]
وتســــــــتجيش حنينـــــــي * إلـــــى الليـــــالي هنالـــــك
للأمســـــــيات الســــــكارى * نشـــــوى تـــــرفّ خيالـــــك
ونســـــمة فيـــــك تســـــري * ريانـــــة مـــــن جمالـــــك
نجـــــواك مـــــلء فـــــؤادي * تـــــرى خطـــــرت ببالـــــك

وفي قصيدة (دعاء غريب)[2] دعا الشاعر مصر أن ترده إليهـــا حـــين قال: "هذا الوحيد الغريب" وكأنه هو حقاً الغريب الوحيد في كلفورنيا. نســـمع إليه يقول في ذلك.

مجزوء المجتث

يانائيـــــــات الضـــــــفاف * هنـــــا فتـــــاك الحبيـــــب
عليـــــه طـــــال المطـــــاف * متـــــى يعـــــود الغريـــــب
يـــــا أرض ردى إليـــــك * هـــــذا الوحيـــــد الغريـــــب
هـــــواه وقـــــف عليـــــك * ردّى فتـــــاك الحبيـــــب

كما يلاحظ في الديوان قلة قصائد الرثاء والوطنيات مما يشير إلـــى أن الشاعر يتحدث عن الذات أكثر بدليل اهتمامه بشعر الغزل أكثر من الاتجاهات الأخرى. وقد ذكر جامع الديوان عبد الباقي محمد حسين معللاً ذلك حين قال: "يقل الرثاء في شعر سيد قطب، مخافة أن يندرج تحت اسم (شعر المناسبات)، وقلّت وطنياته للسبب نفسه، ولسبب آخر هو الكبت الذي فرضه المحتل، وقلة الأعمال البطولية والوطنية التي تحرك قرائح الشعراء وتلهـــب مشـــاعرهم". يبدو أن السبب غير مقبول باعتبار أن شعر المناسبات لا عيب فيه، وما أكثر البطولات في العالم العربي والإسلامي.

---

(١) هتان روح، الديوان، ص ٩٩

(٢) دعاء غريب، الديوان، ص١٠٠

وفي إطار نقد الذات، نجد الشاعر في كثير من قصائده ينقد ذاته في حسرة وشكوى وتمرد ويأس فيما يحيط به. ويعني هذا أن في داخل الشاعر شخصين نسمع إليه يقول:

أحياة هي أم نار الجحيم * بلظاها الهائج المستعر
لا ففي نفسي من الشجو * الأليم من حياتي فوق ما في سقر

يلاحظ في بعض قصائد الديوان الجرأة في الاشتقاق والمبالغات في المعاني والانتفاخات في التعبير والتراكيب التي تضعف من البناء الفني للقصيدة. انظر قصيدته (رسول الحياة)[١].

هو الحب لا القدر المستطيل[٢] * يقسم في الكون شتى الجدود[٣]
فيمنع فالكون شاك شقي * ويمنح فالكون راض سعيد
وينبض فالكون في نشوة * ويجمد فالكون جاث[٤] بليد

ورغم أن الشاعر سيد قطب حصر نفسه في دائرة شعره، واهتمامه الكبير بشعر الغزل العام، إلا أن الاتجاهات الأخرى التي تناولها كانت متعددة المواد والمواضيع وقع مداها بين أجواء عالم الخيال الرومانتيكي وبين حقائق العالم الواقعي وبين الرّمز والمجاز وبين الجهاد والحركة والقنوط، وأبعاد أخرى. هام الشاعر في كل وادٍ وتاه في كل شأنٍ. ولقد عالج جميع هذه الموضوعات بمهارة فائقة وقدرة على صياغة الشعر. ليس في شعره تصنع أو تكلف بل كان ينبعث من واقع حياته وتجربته الصادقة.

---

(١) رسول الحياة، الديوان، ص ١٧٤
(٢) المستطيل: المترفع أو المتفضل
(٣) الجدود: الحظوظ
(٤) جاث: من جثا يجثو: يركع في ذلة

المبحث الرابع
تأثر الشاعر بالقدامى

من القضايا الواضحة في ديوان سيد قطب تأثره بالشعراء القدامى، وخاصة أسلوب بنائه للقصيدة.. بدأ سيد قطب متأثراً بمدرسة المحافظين في الوزن والقافية. ومتأثراً بالمدرسة التجديدية في تجديد القوافي في بعض قصائده. ولقد ذكر الكشميري في كتابه أن سيد قطب قد "تأثر بشاعر الهند الكبير وفيلسوفها رانيدراتاته طاغور. فقد كان معجباً بشعره وفلسفته. ولا بد أنه كان له دور كبير في تحويل سيد إلى التفكير الإيجابي والخروج من أودية القنوط واليأس".

للشاعر سيد قطب نماذج شعرية تحسُّ من خلالها أثر السابقين، وخاصة في الصور الشعرية وتناوله للأحداث بأسلوب الشعراء القدامى. فالشاعر لم يلتزم بافتتاح القصائد بالطلليات كما هو نهج السابقين من الشعراء، ولكنه يفتتح قصائده بالاستفهام وأحياناً يقلد أسلوب الموشحات الأندلسية.

وكذلك كان الشاعر مولعاً بالأخذ من صور مأخوذة من قراءته الشعرية من الدواوين القديمة. ومن ذلك بكاؤه لماضيه الذي يذهب كالبرق يلوح كالسراب. انظر قوله: من قصيدة "رثاء عهد"[١].

أو عهد هو ريّا مهجتين[٢] * وهو سار في الحنايا والشعاب
ينطوي كالبرق في غمضة عين * ثم يبدو لائحاً مثل السراب

---

(١) رثاء عهد، الديوان، ص ٧٨

(٢) ريا مهجتين: ما يروى قلبين

لقد تأثر سيد قطب بالشعراء السابقين في صورهم وألفاظهم التي تناولوها في موضوعاتهم الشعرية، بخاصة حين يلتقون بمحبوباتهم أو أطيافهن أو حين يرتحلن أو ينزلن من طول سفر. وهذا واضح في فصل الغزل. حيث تحدث سيد قطب عن بسمة محبوبته وعن نظراتها الحانية، واصفاً طيفها، مقلداً في ذلك سبيل قدامى الشعراء. ولا يكاد يختلف عنهم في شيء سوى أنهم عاشوا في العصر القديم وهو عاش في العصر الحديث. انظر إلى قصيدته (خبيئة نفسي) حين قال:

خبيئة نفسي، ما ترى أنت؟ إنني * أريدك في جوّ من الضوء معلم[١]
أعنصرك الإيمان والطهر أصله * وإلا إلى الكفران والرجس منتم؟
وفي أيّ وادٍ أنت تسرين خلسة؟ * ومن أي عهد في الجهالات مبهم
وكم فيك من نصر، وكم من هزيمة * تجاورتا في حشدك المتزحم

وفي قصيدة "طيف" حين قال:

بلل الوجد وهدئ زفراته * فهو قلب ضيق بالزفرات[٢]
أنت يا طيف الذي يرجو فؤادي * بعد ما قد ضاق ذرعاً بالشكاة
هاك قلبي فتسمع خفقانه * فهو قلب مستثار الخفقات

وفي قصيدة (الزاد الأخير): يقول فيها[٣]:

زودينـي لكاد ينفد زادي * في صراع من الحياة طويل
كاد يخبو المصباح إلا بصيصاً * فاسكبي الزيت في بقايا الفتيل
كنت كالجذوة المشعة نوراً * وهي اليوم في طريق الأفول

وفي قصيدة "صوت"[٤] بها صورة من الشعر القديم. وذلك حين قال:

---

(١) خبيئة نفسي: الديوان، ص ١٣٢
(٢) ضيق: الديوان، ص ١٥٦
(٣) الزاد الأخير: الديوان، ص ٢٧٠
(٤) الصوت: الديوان، ص١٥٨

تـــذكرني حيـــاً قـــديماً دفنتـــه * وأنفض كفي بائساً منـــه آســـيا[١]
ورحت أوارى كل آثاره التـــي * تراءي فتذكي الشجو لوبات خابيا
بعثت به حياً يطـــل وينـــزوي * ويفتح أجفانـــاً مراضـــاً ســـواهيا
يجرجر أكفاناً من القلب صغتها * تمزق أشـــتاتاً وتبـــدو بواليـــا[٢]

ومن تأثره بالصور الشعرية لقدامى الشعراء تصويره للحب كشـــواظ ملتهبة وحمرة كالشفق. وذلك حين قال في قصيدته (الظامئة)[٣].

لأي من الأمـــر هـــذا التطلـــع * وهذا التوثب، هذا الحـــرق[٤]
شواظ من الشـــوق أم جمـــرة * من الحب محمرة كالشـــفق[٥]

رغم تأثر سيد قطب بالمدارس المـــذكورة والشـــعراء القـــدامى فـــي صورهم، إلا أنه كان ينادي باستقلالية شخصية الشاعر وبطابعه الخاص. كان سيد يصور الأحاسيس كما يراها أو يشعر بها. وكانت له فلسفة خاصة بـــه، يفسر الحياة على ضوئها. فهذه الاستقلالية دفعته دفعاً ليختار نهجاً متطوراً في الأدب فيه روحه وإحساسه الشخصي.

فالشاعر سيد جدّد في المعنى واللفظ. فليس صحيحاً قول بعض النقـــاد "أن القدماء استنفذوا المعاني الشعرية ولم يبقوا للمحدثين قولاً فيها. فكان جـــل اعتمادهم على اللفظ. أي إعادة عرض معاني القدماء في صورة جديدة مـــن اللفظ"[٦]. وسيد قطب بذل جهداً مقدراً في تناول بعـــض الصـــور والألفـــاظ بمعاني جديدة حين أدار حواراً بين نخلتين. الحوار الشعري سمة قديمة فـــي الشعر العربي حين قال:

---

(١) آسيا: حزيناً
(٢) بواليا: ج باليه: قديمة
(٣) الظامئة: الديوان، ص ١٧٠
(٤) الحرق: النار
(٥) جمرة: قطعة ملتهبة من النار
(٦) محمد زغلول سلام، النقد الأدبي والبلاغة من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، الجزء الثاني، ط ، ص

الصغيرة:

أفلا تدرين يا أختـــي الكبيـــرة * ما الذي أطلعنا بين اليبـــاب[1]

أيمام إثـــم حنينـــا أو جريـــرة * سلكنا في تجـــاويف العـــذاب

الكبيرة:

ربمـــا كنـــا أســـيرات القـــدر * تسخر الأيـــام منـــا والليـــالي

تضرب الأمثال فينـــا والعبـــر * وإذا تشـــكو أذاهـــا لا تبـــالي

أو ترانا نسل أربـــاب قـــدامى * قد جفاها وتـــولّى العابـــدون

جفت الكأس لـــديها والنـــدامى * غادروا ندوتها تنعي القـــرون

دليل آخر لعلاقة سيد قطب بالقدامى، هو وقوفه الديار باكياً وداعياً لها بالسلامة:

يا دياراً نشـــأت فيهـــا صـــبيا * وصحبت الشباب في العنفوان[2]

لـــك منـــي تحيـــة وســـلام * أنت دار النعـــيم والرضـــوان

ودعا سيد قطب الله أن يرعى أصدقاءه ويحفظ ديارهم:

ورعـــى الله خيـــرة ورفاقـــاً * ورعى الله أربعـــاً ومعـــاني

ثم هناك جدل منطقي أقرب إلى جدل المناطقة منه إلى خيال الشعراء، أظهره سيد قطب في ديوانه:

أفهـــذي مصـــر أم مـــاذا أرى * أم أخرى وشـــعب منقلـــب[3]

أم تـــرى الأيـــام دارت دورة * فـــإذا الأســـد شـــياه تحتلـــب

ما عهدنا مصر تمطي ظهرهـــا * كذلول النوق من شاب ركـــب

وتسمع إليه في قصيدة أخرى:

يا شباب الشـــرق والشـــرق إذا * لم تكونوا جنده ضـــاع هبـــاء

لا يـــرد الحـــق قـــول فـــارغ * تذهب الريح به عصف الهواء

إنمـــا يجـــدي جهـــاد عـــارم * وخصـــام ونضـــال وعنـــاء

---

(١) الصحراء، ص ١١٥

(٢) صولة في أعماق الماضي، ص ٧٤

(٣) صوت الوطنية، ص ٢٨٣

وكان ذلك من أثر الفلسفة اليونانية علي الشعر العربي.

لقد تأثر الشعر العباسي بهذا كثيراً انظر إلى قول أبو العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملّكه المال الذي هو مالكه[1]

ألا إنما مالي الذي أنـــا منفـــق * وليس لي المال الذي أنا تاركه

(١) الأغاني، ج٤، ص ١٢٣٠، من طبق الشعب

الفصل الرابع

أبرز القضايا في شعر سيد قطب

المبحث الأول: المرأة في شعر سيد قطب

المبحث الثاني: الحالات النفسية في شعره

المبحث الثالث: إحساس الشاعر بالكون وعلاقته بالحياة

- ❖ المطلب الأول: صورة الكون في نظره
- ❖ المطلب الثاني: الإحساس بالتشاؤم
- ❖ المطلب الثالث: الإحساس بالمجهول
- ❖ المطلب الرابع: الإحساس بدور العقل
- ❖ المطلب الخامس: الإحساس بالزمن
- ❖ المطلب السادس: الإحساس باالخلود

المبحث الرابع: ملكة التصوير وروح القصص

المبحث الخامس: التصوير والظلال في تجربته القصصية

المبحث السادس: القضايا الوطنية

الفصل الرابع
أبرز القضايا في شعر سيد قطب

المبحث الأول: المرأة في شعر سيد قطب

قضية المرأة من أبرز القضايا التي عنى بها سيد قطب في شعره. ربما لرومانسيته المتجددة أو لموقف محدد من المرأة. في ديوانه ما يربو عن سبع وعشرين قصيدة تناولت المرأة. وأن أكثر القصائد نظماً كان في فصل الغزل والمناجاة.

تحدث سيد قطب عن المرأة كثيراً وسمها "اللغز" محاولاً البحث عن أسرارها ومعرفة حقيقتها. يبدو إن نشأة الشاعر في الريف الصعيدي في ظل القيم والعادات الاجتماعية التي تتحكم في طبيعة علاقة المرأة بالرجل، وتقاليد أسرته المتدينة، وحياة سيد قطب في القاهرة بوضعها الاجتماعي وبتحرر المرأة فيها ومخالطتها الرجال، كل هذا التناقض كان له أكبر الأثر في رسم صورة عن تلك المرأة اللغز في ذهنه، والحديث عنها. نسمع إليه يقول في قصيدته "نظرة موحشة"[١] التي مطلعها:

أهو حظي منك تلك النظرات * كلما جادت بمرآك الصدف

فهو لا يطبق من محبوبته العبوس والتجهم، ويطلب إليها أن تلقاه بثغر باسم.

فللشاعر حسٌ مرهف، وحب يؤرقه، فهو يناجي في قصيدته "هدأت يا قلبي"[٢] قلبه الذي توقف عن الخفقان.

هدأت يا قلب فاهدأ هكذا أبدا * وعش هنيئاً إذا أحسست سلوانا

وظلت ابتسامة حبيبته تثيره وتلقى إعجابه. جاء ذلك في قصيدته "هي[١] أنتِ" وذلك حين قال:

---

(١) عبد الباقي محمد حسين، ديوان سيد قطب، ص ١٥٤

(٢) عبد الباقي محمد حسين، ديوان سيد قطب، ص ١٠٧

نظرة منــك وابتســامة حــب * تترك الصعب لينا كالمهود[٢]

ومضى سيد في شعره، يذكر حبه للمرأة وافتتانه بها فــي كثيــر مــن القصائد، منها "حياة بعد موت، وصوت، عهد ذاهب، أحبك، وغيرهــا" لقــد أحب المرأة ولكنها كانت تبدل مواقفها بين الغرام والخدعة، ولكنه كان صابراً ومنتظراً أوبتها إليه رغم التجهم والجفاء الذي يلقاه منها.

لقد أودع ذلك الإحساس في قصيدته "الانتظار الخالد"[٣].

أنــا بانتظــارك مــا أبــالي * رضى الهوى حكــم الجمــال
غيبــي إذن أو فــا حضــرى * أنــا قــانع فــي كــل حــال

المرأة في الديوان كانت هي الأمل والسعادة والعمر الذي يتجدد ليزيح عنه أستار الظلام. فحياته تزداد حلاوةً وخصوبة وازدهاراً. أودع ذلــك فــي قصيدته "الحياة الغالية"[٤] وذلك حين قال:

تغلو الدقائق في حيــاة خصــبة * وتهون أعوامٌ بعمــر مجــدب
الحب فاض على الحياة بخصبه * واجد عمرانــا بكــل مخــرّب
وأزاح أستار الدجى فتكشــفت * ظلماته عن كــل زاه معجــب
وكذاك تحلو لي الحياة وتجتلــي * وتعز ساعات الغرام المخصب

كانت المرأة رغم مخادعتها له تهب له كل شيء. وهو بدونها كاســف البال حزين النفس. بحبه للمرأة يمتلك الحياة. لأنها هي التي وهبت لــه ملــك الحياة. قال ذلك في قصيدته "حب الشكور"[٥].

---

(١) هي أنت: الديوان، ص ١٦٠
(٢) المهود: جمع مهد: فراش الطفل
(٣) الانتظار الخالد: الديوان، ص ١٩٩
(٤) الحياة الغالية: الديوان، ص ١٩٤
(٥) حب الشكور: الديوان، ص ١٩٦

حب الذي أحييت فيــه حياتــه * مما لديك من الحيا[١] المدخور[٢]
ووهبته ملــك الحيــاة وطالمــا * قد عاشها كالعامــل المــأجور

وقد قال عنه فايد العمروسي: "ولست أرى أن أعجوبة الحب قد وهبت للشاعر ملك الحياة، وكل ما وهبت له هو حب الدنيا، فخدعه شــعوره بحــب الحياة التي تحقق بالأمل، بعد أن كان كاسف البال، حزين النفس، يعيش فــي الدنيا كالمأجور..." [٣].

الشاعر لم يكن يتغزل في امرأة بعينها. يبدو أن للشاعر عــدّة نســاء مجهولات، ولكنه نظم قصيدة واحدة في المرأة باسم "توارد خواطر" صــرح فيها باسم امرأة يعشقها "سعاد". اسم خطر بباله، ويلتفت فجــأة وإذا بصــاحبة الاسم تقف أمامه كالملاك تحييه مما جعله يرتاب لهذا المشهد. جاء فيها:

أفأنت ذي؟ أم ذاك طيف منــام؟ * إني أراك كطائف الأحــلام[٤]
لما خطرت وقد سموت بخاطري * ألفيت شخصك كالملاك أمامي
قد هشت أو فارتعت أو فتضرمت * خفقات قلبي المنتشي البسّــام
الحب يا للحب! يرتجــل المنــى * من غير تدبير وغيــر نظــام
إني وثبت به ومــا هــو باخــل * بك يا سعاد بيقظتي ومنــامي

ولقد سما حب الشاعر للمرأة حتى أصبح هو الذي يهيمن على الكون، وليس القدر يتحكم فيه. وغدت محبوبته رسول الحياة وحبها معجزة. كما ورد في قصيدته "رسول الحياة" و "سر انتصار الحياة" و "عصمة الحب". وأخيــراً

---

(١) الحيا: الحياء
(٢) المدخور: المدخر أو المصون
(٣) الكشميري، مرجع سابق، ص ٢٠٦- ٢٠٧
(٤) توارد خوطر: الديوان، ص ١٦٣

أعلن الشاعر كراهيته لذاك الحب، وعزم على تركه، مـوثراً العـيش خامـد الإحساس والشعور. ورد ذلك في قصيدته "الحب المكروه"[١] حين قال:

كرهتـــك أيهـــا الحـــب * كراهـــة محنـــق غاضـــب
وضـــج بهولـــك القلـــب * وما تبلـوه مـن واصـب[٢]
ســـأحيا خامـــد الحســـن * فـــلا حـــب ولا أمـــل
ســـتخبو شـــعلة الـــنفس * ويمضـــي ذلـــك الأجـــل

ووردت كراهيته للحب في قصيدته خدعة الخلود[٣]، وجاء فيها:

لا أنت سالمك الزمان ولا أنـا * لا أنت داعية ولا أنا مستجيب

لقد وصلت درجة كراهيته للمرأة أقصى حد لها في قصـيدته الكـأس المسمومة حين وصفها بالشيطان وبالسم الفتاك وبالأفعى ذات الأشواك. وذلك حين قال:

أقلاك أقلاك كالشـيطان أقـلاك * أقلاك كالسم يسري جـدّ فتـاك[٤]
أقلاك: إنك في نفسي وفي زمني * وفي حيـاتي أفعـى ذات أشـواك
سممت عيشي وأحلامي وأخيلتي * وأنت شيطانة في سمت[٥] أمـلاك[٦]
وعشت أرعاك في قلبي وأنت بلا * قلب يحس ويرعى كيـف أرعـاك
من أنت؟ ما أنت؟ إني حائر قلق * أأنت أسطورة في سـفر[٧] أفـاك[٨]؟

---

(١) الحب المكروه: الديوان، ص ٢٠٠
(٢) واصب: من وصب: مرض
(٣) خدع الخلود: الديوان، ص ١٤٩
(٤) الكأس المسمومة: الديوان، ص ٢١٧
(٥) سمت: هيئة
(٦) أملاك مفردها ملك: ملاك
(٧) سفر: كتاب
(٨) أفاك: الكذاب، المفتري

المبحث الثاني
الحالات النفسية في شعره

سيد قطب شاعر مصور لنفسه ووجدانه ومعبّر عمّا يدور بداخلهما. فشعره نابعٌ من تجربته الذاتية. صوّر إحساسه ومشاعره. فجاء شعره صادقاً لما به من ترجمة للحالات النفسية التي عاشها في الريف والحضر والغربة والسجن. وذلك لأن "الشعر لبس فناً لغوياً فحسب، وإنما هو كذلك تجربة ذاتية تنبع من أعماق الشاعر ويصوّر فيها عما يحسّ ويشعر وليس شيئاً مفروضاً عليه من خارج ذاته. فالطريق المستقيم الذي ينبغي أن يسلكه الشاعر هو تصوير حالات النفس، وعلى هذا فالشعر الصادق هو شعر الحالات النفسية"(١).

لقد تناول سيد قطب هذا الجانب. وعبّر عن علاقة الناس بعضهم ببعض، وعن سلوكياتهم وأحوالهم الشخصية. صوّر هذا الإحساس من خلاله تجربته الخاصة في قصيدته "الغيرة"(٢) وهي مقطوعتان مبعثهما الغيرة، وهي عامل نفساني بحت. لقد عاتب الشاعر محبوبته التي ظهر غضبها، ظناً منها أن سيد قطب توجه نحو شقيقتها بحبه، في حين ما كان ذلك إلا مجاملة منه نحو شقيقتها. فلما أحس بهذا الشعور منها نظم مقطوعته الأولى التي جاء فيها:

غضبت فيا لك من غاضبه * وأرسلتها نظرة عاتبه
يتمتم فيها الرجاء الأسيف * وتجأر فيها المنى الواثبه
وفيها هدوء الرضا المطمئن * تمازجه الغيرة الصاخبه

فالشاعر يعاتبها على هذا الارتياب، ويعتبره مظهراً من مظاهر الإخلاص في الحب فيقول:

قد انتصر الحب يا لانتصار * بهذا العتاب وهذا الغضب

---

(١) أ. د. عثمان موافي وآخرون، النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢٣
(٢) الغيرة: الديوان، ص ١٧٨

وثقت مـــن اليـــوم فـــي حبنـــا * وإنك ترعينـــه فـــي حـــدب
فلولا اعتـــزازك بالحـــب لـــم * تثر في فؤادك تلـــك الريـــب

لقد مضى يوم كامل، ولم تعد محبوبته إلى يقينها، بل ما زال الارتياب، مشتعلاً بداخلها ولم يتوقف. فكانت المقطوعة الثانية التي جاء فيها.

حدثيني أما تـــزالين غضـــبي؟ * أو ما زال ملء نفسك ريبـــا؟
كان بالأمس كالعتـــاب جمـــيلا * ماله اليوم لم يعد من عتـــاب
أبسمى تبسم الحيـــاة وترضـــى * وامنحيني اليقين امنحك حبـــا

فالشاعر لم تعجبه هذه الاستمرارية في الغيرة وحســـبها شـــيئاً آخـــر. فالرجل يتلذذ بالغيرة في بادئ الأمـــر ويعتبرهـــا ظـــاهرة حميـــدة. ولكـــن الاستمرارية فيها يدخله في دائرة الشك الذي يصعب الخروج منه؛ لأنها طعنة للحب.

وفي قصيدة أخرى تناول الشاعر هذا الجانب. وذلك في قصيدة بعنوان "مصرع حب" حيث تناول ثلاث محاور، محور الشك ومحور اليقين ثم محور الفقدان.

ففي المحور الأول: يبدو أن الشاعر خامره الشك بسبب أخبار وصلت إليه، فبات ليلته وقلبه مليء بالحزن وبدأ وكأن الحب الذي كان يغمره يتهاوى في ذلك الخضم الداجي. وذلك حين قال في قصيدته "ليلة الشك"[1].

ليلة الشك والأســـى والظـــلام * وجحـــيم الإقـــدام والأحجـــام
ليلة الشك هل مضـــيت؟ فـــإني * لـــم أزل غارقـــاً فيـــا للظـــلام
والهوى المشرق المنير تهـــاوى * في خضم الدجى العميق الطامي

وفي المحور الثاني: يبدو أن الشاعر خاطب محبوبته فلم ترد له نفيـــاً، فكـــان اليقين الذي طلبه. كان اليقين قاسياً عليه ولكنه صمد له؛ لأن الرجل يفضل اليقين الأليم على الحيرة والشك والاضطراب. فنظم قصيدته اليقين. جاء فيها:

---

(١) ليلة الشك: جزء من قصيدة الغيرة

اليقـــين اليقـــين أطلـــب فيـــه * راحة اليأس من جحيم اضطرابي
أيهـــذا اليقـــين إنـــك قـــاس * ما تطلبت كـــل هـــذا المصـــاب
أيها الشك ربمـــا كنـــت خيـــراً * من يقين كالجدب بـــين اليبـــاب

وفي المحور الثالث: شعر الشاعر بالفقدان فـــنظم قصـــيدته (الجنـــة الضائعة) [١] وجاء فيها:

فقـــدتك يـــا جنتـــي الســـاحرة * وغادرت أفيـــاءك العـــاطرة
فقدتك يا ليتنـــي إذ فقـــدتك (م) * كنـــــت مؤمنـــــة عـــــامرة
لعزيـــت نفســـي بالـــذكريات * وأودعت فردوســـي الـــذاكرة
ولكن فقـــدتك نهـــب الـــذئاب * تجـــوس خلالـــك كالآســـرة

فالشاعر هنا فضل الفقدان على اليقين المؤلم. وتمنى لو كان فقد جنتـــه وهي (مؤمنة عامرة). وهنا يظهر إحساس نادر؛ لأن أغلب الناس يـــودون إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً، ولكن الشاعر يأبى ذلك على نفسه.

هذه المحاور الثلاثة ما هي إلا حالات نفسية خالصة، يضـــع الشـــاعر فيها مقارنة بين غيرة المرأة وغيرة الرجل. من هـــذه المقطوعـــات الخمـــس استنتج جامع الديوان عبد الباقي محمد حسين، أن المرأة سريعة الشك، ثـــائرة الغيرة ولكنها سريعة التصديق لا تجنح لليقين إذا كان هـــذا اليقـــين يجـــيء بالفقدان. وأما الرجل بطيء التشكك هادئ الغيرة ولكن الشك الذي بدواخلـــه بطيء الزوال. ويفضل الفقدان على اليقين المؤلم[٢] ولكن سيد قطب يختلـــف عن كثير من الناس، لأنه إذا فقد شيئاً يودّ أن يفقده في أفضل حالاتـــه حتـــى يظل في خاطره على الدوام، وذلك في قوله:

فقـــدتك ذكـــرى فواحســـرتاه * بفقدٍ مـــن العـــين والخـــاطره

---

(١) الجنة الضائعة: جزء من قصيدة الغيرة

(٢) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ١٧٨– ١٨٤

المبحث الثالث

إحساس الشاعر بالكون وعلاقته بالحياة

المطلب الأول: صورة الكون في نظره:

يرى الشاعر الكون ساكناً هامداً ساهماً حزيناً. ولو شاء السير، لا يدري أين يسير، وإذا سار يسير سيراً بطيئاً متعباً. ومصيره مقنّع لا يرضي أحداً. أودع هذه الصورة في قصيدته "يوم خريف"[١] حين قال:

وقف الكون شاخصاً في سكون * وتراءى لخاطري كالحزين
وقف الكون ساهماً ليس يدري * أين يمضي وأين لو شاء يمضي
تعب ضائع وجهد غبين * ومصير مقنع ليس يرضى

لجأ الشاعر إلى الطبيعة في نزعة رومانسية، لتشاركه حالته النفسية المتعبة، جسد الكون وخلع عليه صفات إنسانية. رأى الشاعر الروض والزهر كاسفاً حزيناً كالأطفال الأيتام في يوم عيدهم، ورأى الأرض ثكلى متسربلة بأثواب الحداد، ورأى الكون كله لا حراك فيه، لا حياة فيه ولا موت، انظر إلى تلك الصورة في قصيدته حين قال[٢]

فإذا الدوح في وجوم كئيب * وإذا الطير في زهول شريد
وإذا الزهر في الرياض أسيف * كصغار الأيتام في يوم عيد
وكأن السماء والأرض مرضى * برمات بثقله العوّاد
وترى الأرض كالكظيم من الحزن * ثكولاً تسربلت بالحداد
مأتم صامت يهوّم فيه * شبح اليأس والقنوط العقيم
ليس موت وليس ثم حياة * كل شيء في صمته كالسقيم

---

(١) يوم خريف، الديوان، ص ٢٣٨

(٢) يوم خريف، الديوان ص

يستمر الشاعر في رسم هذه الصورة التشاؤمية، ليرى الكون يسير في الاتجاه الخطأ. يسير نحو الزوال والخراب والنهاية غير المحمودة. وذلك حين قال في قصيدته "خراب"[١]:

أقفرت شـــيئاً فشـــيئاً كاليبـــاب * غير آثار من النبـــت الهشـــيم
باقيات ريثما يســـفى التـــراب * فإذا الكون خلاء في وجـــوم

يرى الكون خالياً من كل شيء سوى النبت اليابس وذلك لشدة حـــرارة الشمس كأنها فوارة من جهم.

لظى الشمس؟ أم فوارة من جهـــنم * تسبل شـــظاياها وتنضـــح بالـــدم
هو القيظ قد فارت ينـــابيع وقـــده * وفاضت على الأرضين في كل مجثم

ركّز الشاعر على وحشية الكون وفنائه وسيطرة القدر عليه في قصائد "سخرية الأقدار" و "الشعاع الخابئ"، و "في الصحراء"، نظـــر إلـــى مواكـــب البشر التي عمرت الأرض يراهم كأنهم قوافـــل تمـــر دون أن تمتلـــك حـــق الرجوع كأنها مستعبدة لا تمتلك من أمرها شيئاً. انظر إلى قصيدته "قافلـــة[٢] الرقيق" حين قال:

قف بنـــا حـــادي العمـــر هنـــا * لحظة ننظـــر مـــاذا حولنـــا
في طريق قـــد نثرنـــا عمرنـــا * فيـــه أشـــلاء حيـــاة ومنـــى
قف بنا ننظـــر إلـــى أشـــلائنا * نحن لا نرجع يومـــاً هاهنـــا
مرة نمضي ونمضـــي وحـــدنا * في ظلام الغيب نطوي الزمنا

ثم انظر إلى قصيدته بعنوان "أقدام في الرمال" حين قال[٣]:

نحن؟ أم تلك على الأرض ظلال * وخيال ســـارب إثـــر خيـــال
فـــي متاهـــات وجـــود لـــزوال * كبقايا الخطو في وجه الرمال
زمـــر تـــدلف فـــي إثـــر زمـــر * ويح نفسي! إنه ركب البشـــر
مغمض العينين في كـــف القـــدر * كلما أوغل في التيـــه انـــدثر

---

(١) خراب، ص ٥٨

(٢) قافلة الرقيق، ص ١٤٣

(٣) أقدام في الرمال، ص ١٥٧

هذه هي صورة الكون في شعره. جاء منهجه وطريقة تأليفه لقصـــائده في نظام صحيح ومتناسب. كانت كل فكرة نتيجة لسابقة أو مقدمـــة للاحقـــة. وربط الأسباب بالنتائج مما جعل سياق القصائد وكلماتها شعراً معقولاً.

المطلب الثاني: الإحساس بالتشاؤم:

لقد عبّر الشاعر عن سخطه لهذه الحياة وأحس باليأس والقلق والضياع. يستطيع القارئ لديوانه التعرف على هذه الحالة من خلال عناوين قصائده، مثل: "اضطراب حانق"، "حائر"، "غريب"، "خراب" وعناوين أخرى. كان الشاعر متبرماً بهذه الحياة، لا يهنأ له عيش ولكنه يتظاهر بعدم الشكوى أو الضعف أمامها. انظر إلى هذه الأبيات من قصيدة "اضطراب حانق"[١] حين قال:

لا. ففي نفسي من الشجو الأليم * من حياتي فوق ما في سقر
آه. لا شكوى ولا بث شجن * لا أريد الضعف. كلا لا أريد
سوف لا يظهر مني ما كمن * فاليشدّ الخطب إني لشديد

تناول الشاعر الناس، وكانت صورهم في ذهنه تقترب من صور الحشرات. ظاهرهم يدل على إنسانيتهم، ودواخلهم ونفوسهم رجسٌ يسيل. وهم سبب تشويه وجه الكون، فصار يتشاءم حتى من الناس، كل الناس. جاء ذلك في الأبيات الآتية، حين قال:

أأناساً أرى أم حشرات * شوهت من طلعت الكون الجميل
حقروا الكون وأغراض الحياة * حسبوها دنساً في دنس
يشبهون الناس في تلك السمات * بينما أنفسهم رجس يسيل

أحس الشاعر بالضياع وبدأ يتشاءم من الحياة لقد أنكر نفسه، وبدأ يبحث عن نفسه الضائعة في كل مكان يبحث عن ذاته لعله يجد مخرجاً من هذه الحالة. وذلك حين قال في قصيدته "النفس الضائعة"[٢].

أعيش بلا ماضٍ كأني نبتة * على السطح تطفو في مهب الأعاصر
أُنقّب عن نفسي التي قد فقدتها * بنفسي التي أحيا بها غير شاعر
سأحيا إذن كالطيف ليست تحسه * يدان، ولا يجلوه ضوء لناظر

(١) اضطراب خانق، ص ٤٢
(٢) النفس الضائعة، ص ٦٠

صور ذلك الإحساس، الإحساس بالضياع وبالغربة وبالتشاؤم في عـــدد من قصائده مثل: "الغد المجهول"، "مر يوم"، و "غريب". انظـــر إلـــى هـــذه الأبيات من قصيدة "غريب"[١].

غريب بنفســـي ومـــا تنطـــوي * عليه حنايا فـــؤادي الحنـــون
غريب وإن كـــان لمـــا يـــزل * ببعض القلوب لقلبـــي حنـــين
ولكنهـــا داخلتهـــا الظنـــون * وجاور فيها الشكوك اليقـــين

في شعره إحساس بالضياع والتشاؤم ، ويبدو أن مرجع هذا الإحســـاس لظروف اجتماعية خاصة به، كفشله في الزواج وموقف فتاته المتغيـــر بـــين الغرام والخدعة. وظروف أخرى ذكرت في حينها.

لقد جاء شعره في هذا الاتجاه جيد اللفظ شريف المعنـــى، لـــيس فيـــه خروج عن القيم. رغم إحساسه القوي بالضياع والتشاؤم، إلا أن شعره لـــيس فيه ما يعارض الدين أو الأخلاق.

---

(١) غريب: الديوان، ص ٦٣

المطلب الثالث: الإحساس بالمجهول:

ملأ الشغف يكشف المجهول، ومعرفة سر الحياة، حيزاً مقدراً من ديوانه. ولعلها محاولة من محاولات سيد قطب الإحساس بالخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها بمعرفة سر الحياة والمصائر الأخرى. ويبدو وكأن الجهل بسر الحياة يزيد من أفق الحياة ضيقاً.

الحديث عن المجهول في الديوان، يأخذ صوراً متعددة، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، وخاصة في فصل الغزل والمناجاة. ففي قصيدة "الإنسان الأخير" عبّر الشاعر عن رغبته الجامحة في كشف المجهول. قال:

وقد كان في المجهول مطمح كاسف * تحجبه عن طالبيه الستائر[1]
فيا ليته يدري بما خلف ستره * فيختم سفر الناس في الأرض ظافر
لعل وراء الكون مفتاح لغزه * وطلسم ما ضمت عليه السرائر

وفي قصيدة "الصحراء" لا يزال الشاعر يكشف عن مآلات الحياة وسرها المكنون. ولقد ذكر أنه في إحدى ليالي فصل الخريف، وفي صحراء جبلية تراءت له نخلات ساكنات في وجوم كئيب وبينهما نخلتان إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة. فرمز إلى هاتين النخلتين بالأحياء، فأنطقهما بأفكاره التي تدور في ذهنه. فجعلهما تتساءلان عن لغز وسر الحياة[2]، والحكمة من وجودهما في هذه الصحراء. فأدار حواراً بين هاتين النخلتين:

الأخت الصغيرة:

مالنا في ذلك القفر هنا * ما برحنا منذ حين شاخصات[3]
كل شيء صامت من حولنا * وأرانا نحن أيضاً صامتات

---

(١) بالإنسان الأخير: الديوان، ص ١٢٠

(٢) الكشميري، مرجع سابق، انظر إلى الرجوى، سيد قطب الأديب الناقد، ص١٢٧

(٣) في الصحراء: الديوان، ص ١١٥

الأخت الكبيرة:

أنا يا أختـــاه لا أدري الجـــواب * ودفين السر لم يكشـــف لنـــا
منذ ما أطلعت في هذا الخراب * وأنا أسأل مـــا شـــأني هنـــا

ويستمر الشاعر في البحث عن كشف المجهول عن طريـــق الشـــعر. فقصيدته بعنوان "الشاعر في وادي الموتى" جاء فيها أنه كـــان يتـــردد علـــى المقابر ولعاً منه لكشف المجهول. فترجم هذا الشعور شعراً، فيه رهبة وخوف من عالم مجهول، عالم الأموات الذين تركوا الدنيا وأوهامها. كـــان يأمـــل أن يجد الجواب عندهم. فالشاعر يريد أن يظفر بهذا الكشف ليهتدي إلـــى يقينـــه. فأجرى حواراً مع نفسه، فيه روح قصيصة. وذلك حين قال:

أفي هذه الأحداث طلـــم ســـره * لعل فمن يدري بسر المقـــابر

فينطق أحد الأموات قائلاً:

من الطارق الساري خلال المقابر * كخفقة روح في الدحنات عابر

فيجيب الشاعر قائلاً:

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى * وللسر لم يكشفه ضوء لناظر
تحير في سر الحياة ومـــا اهتـــدى * إليه ولم يقنع بتلك المظـــاهر

هكذا كان سيد قطب شغوفاً لكشف أسرار الحياة. والقصائد كثيرة التي سعى من خلالها لكشف المجهول ومحاولة الوصول إلى ذلـــك الســـر، ســـرّ الحياة. وفي كل هذا رجع سيد قطب إلى الاقتناع الذاتي والإخلاص الفنـــي لا إلى مجرد مهاراته في صياغة قصائده في هذا الاتجاه، فجمع الأفكار ودواعي الإيثار، وعبّر عمّا في نفسه من صراع داخلي، فنقل تجربته الذاتية المحضـــة في صورة جميلة.

المطلب الرابع: الإحساس بدور العقل:

تناول سيد قطب مواضيع فلسفية، في قالب شعري راقٍ. ويبدو أن للشاعر مفهوماً متطوراً عن الحياة والكون، ومفهوم الطبيعة الإنسانية. فالإنسان كل متكامل، يشترك بكليته، ليس بعقله أو جسمه فقط. فالإنسان يتفاعل بكل خصائصه البيولوجية والاجتماعية[١]. لقد استهجن الشاعر تفضيل الجسم على الروح في قصيدته "اضطراب خائف" حين قال:

حقروا العفة والحس البراء * حقروا الروح وهاموا بالجسوم

"القول بالتباين بين الجسم والروح قديم متداول في الفلسفة القديمة والشاعر ميّال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة، وإن لم يكن يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العنصرين؛ لاعتقاده بوحدة الموضوع.

يرى سيد قطب أن هناك شيئين متميزين (جسماً وروحاً) ولكن بينهما اتصال. وهو يفرق بين القوى العقلية والقوى الروحية في الإنسان"[٢]. يؤكد أن هذين العنصرين يعملان معاً. ففي قصيدة "إلى الشاطئ المجهول" أبان أن العقل لا يعمل وحده. فالعقل والروح يعملان معاً. وكأنه يشير إلى ما قاله الأستاذ محمد أحمد كريم حين قال: "إن العقل يشكل جانباً من هذه الطبيعة الإنسانية يستخدمه الفرد لمواجهة مشكلاته، ومن ثم فليس العقل ممجداً كما إنه ليس بخارج عن الأشياء... وإنما هو وسيلة الفرد للرقي والتقدم"[٣].

لقد حجب العقل الذي نستشيره * حقائق جلّت عن حقائقنا الصغرى

هنا عالم الأرواح فالنخلع الحجا * فنغنم فيه الخلد والحب والسحرا

فالشاعر معترف بدور العقل. وأشار بوجود عالم الأرواح، وبأن لها دوراً في العمل في طبيعة الإنسان. لها دور المشاركة مع العقل حتى يشعر ويحس الإنسان بالحب والخلود في هذه الحياة. لا العقل وحده يعمل ولا الروح وحدها تعمل. فالطبيعة الإنسانية أكثر من مجرد إحساسات جسمية أو عقلية. إذا كانت النظرية الحديثة للطبيعة الإنسانية تشير إلى أن الطفل يتعلم بعقله وجسمه؛ وذلك لأن

---

(١) أ. د محمد أحمد كريم وآخرون، الأصول الفلسفية للتربية، ص١٠٤

(٢) عبد الباقي محمد حسين، مرجع سابق، ص ٣٠

(٣) أ. د أحمد كريم، المرجع السابق، ص١٠٤

إحداهما لا يمكن أن يوجد دون الآخر. فسيد قطب أضاف لها عامل الروح في الكشف عن الطبيعة الإنسانية. نسمع إليه في قصيدته بعنوان: "الإنسان الأخير"[١] حين قال:

ما هي إلا ومضة تكشف الدجى * ويخلع هذا الجسم والجسم حائر
ولولا مواثيق الحياة تشدها * إليها لأمضي عزمه وهو صابر
وخلف هذا الجسم للموت والبلى * أشرق روحاً حيث تصفو البصائر

فالشاعر يؤمن بحقيقة أن العقل ينتفع به لتطوير البيئة الإنسانية. ويؤكد أن الروح ينتفع بها لإيصال الإنسان بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، وإدماج الإنسان في الوحدة الكونية.

لقد أعاب الأستاذ محمد أحمد كريم النظرية الحديثة للطبيعة الإنسانية لغياب العامل الروحي في الكشف عن الطبيعة الإنسانية[٢]. وهذا يؤكد ما ذهب إليه الشاعر سيد قطب. فالإنسان عنده روح وجسم يربطهما العقل بالإدراك والتخطيط. فالجسم يزول ويبلى أما العقل فهو القوى الواعية التي تخطط للإنسانية حياتها وأما الروح فهي باقية تدرك المثل العليا والعوالم المجهولة.

وهذه نظرية علمية فلسفية تعرض لها الشاعر، بيد أنها لم تحتفظ بميزتها العلمية، بل استحالت إلى صورٍ من صور الشعر، فيها موسيقيته ومسحته. وجاء أسلوبه فيه الطابع المنطقي وذلك لأن الشاعر قابل في معاني أفكاره بين عالم الأرواح وعالم الحجا، وبين الحقائق المستترة، وبين بلى الجسم وإشراق الروح.

---

(١) الإنسان الأخير: الديوان، ص ١٢٠

(٢) د. محمد أحمد كريم، في أصول التربية، الأصول الفلسفية للتربية، مرجع سابق، ص١٠٦، ١٠٧

المطلب الخامس: الإحساس بالزمن:

من خلال دراسة الديوان ظهر جلياً أن للشاعر نظرياتٍ فلسفية متعددة، من بينها إنه يرى أن الشعور بالزمن له علاقة بالجسم والعقل في الإنسان. لذا عندما خلع الجسم والعقل في قصيدته "الشاطئ المجهول"، رأى أن ليس هناك (حيث، ولا أمسى، ولا اليوم ولا الغد ولا غير، ولا أنا). بل رأى الأزمان كالحلقة الكبرى[١] التي شملت الكون، أي الوحدة الكونية. وذلك حين قال:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي * حننت لمرآة، إلى الضفة الأخرى[٢]
إلى حين لا تدري إلى حيث لا ترى * معالم للأزمان والكون تستقرا
فليس هنا "أمس" وليس هنا "غد" * ولا "اليوم" فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا "غير" وليس هنا "أنا" * هنا الوحدة الكبرى التي احتجبت سرا
لقد حجب العقل الذي تستشيره * حقائق جلّت عن حقائقنا الصغرى
هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا * فنغنم فيه الخلد والحبّ والسحرا

وللشاعر شعور واضح تجاه الوحدة. أي الوحدة الكونية فقد جاء في قصيدة "الإنسان الأخير" ما يلي[٣]:

ففي نفسه ما يشبه الموت سكرة * ومن حوله موت نمته المقابر
وفي نفسه من مثلها كل ذرة * فهاتيك أشلاء وهذي خواطري

فهو يتصور أنه استيقظ والكون قد خلا من الأحياء. وأضحى الكون وحدة واحدة لا حراك فيه. فهذا نوع من الإحساس بالوحدة الكونية.

وفي محور آخر نجد الشاعر يعبر عن شعور بالوحدة الإنسانية. ويجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية. وذلك حين قال:

فيا ليته يدري بما خلف ستره * فيختم سفر الناس في الأرض ظافر

---

(١) عبد الباقي محمد حسين، مرجع سابق، ص ٣١

(٢) إلى الشاطئ المجهول: الديوان، ص ١٢٣

(٣) الإنسان الأخير: الديوان، ص ١٢٠

لقد كشف الشاعر عن صلته القوية بالكون عندما تجرد من العقل وتبلّد عنده الجسم فعانق الروح فتجلت في دواخله الوحدة الكونية الكبرى بما فيها من حب وسحر.

هذا فهم رائع يقود إلى موضوع علم الاجتماع التقدمي القائل "أن القوى المحركة لشعور الإنسان هي قواه الجسدية"[1]. فعندما خلع الشاعر القوي الجسدية والقوى العقلية استطاع أن يحس بالجمال والكمال. فهي الرغبة الكامنة في أعماق الإنسان. ولكن الكمال لا يتحقق أبداً في عالم الواقع، والرغبة الدائمة تظل تدفع الإنسان ليحصل كل يوم على نصر جديد.

والإحساس بالجمال أو الكمال إحساس فطري. لا يعرف العلمُ كيف يحدث الإدراك ولا كيف يحدث التذكر ولا كيف يحدث الإحساسُ بالجمال ولكنه يسجل مظاهر هذا الإحساس. والفن كذلك يسجل مظاهر هذا الإحساس دون أن يتعرض لماهيته أو يدرك منشأه. ولكن الفن والعلم يلتقيان في أمر واحدٍ وهو أنه إحساس فطري. ودلالة هذا الإحساس أنّ للشاعر قيماً أعلى يبحث عنها في ديوانه.

فإحساس الشاعر بالزمن وعلاقته بالجسم والعقل، وإحساسه بوحدة الشعور والوحد الإنسانية والكونية، تعتبر قيمة أدبية عليا في هذا الديوان. لقد رأى سيد قطب الكون متناسقاً متناغماً، لا أجزاء متنافرة. تلك هي القمة التي انتهى إليها إحساس الشاعر. القمة التي تصل الإنسان بالجمال والكمال وتصل الإنسان إلى الأفق الأعلى بالله سبحانه وتعالى.

---

(١) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، ص ٢٥٤

المطلب السادس: الإحساس بالخلود:

الإحساس فطرة. والإحساس بالزمن والخلود نوع من الإحساس الفطري في الإنسان. وفي فطرة الإنسان أن يؤمن بوجود ما يصل إليه عن طريق الحواس. وفي فطرته أيضاً أن يؤمن بوجود أشياء لا تصل إليه عن طريق الحواس. وتلك مزيته الكبرى على عالم الحيوان. فالحيوان يتعامل مع الوجود بحواسه وحدها، ولا يتعامل معها فيما وراء الحس[١].

والشاعر يؤمن عن وعي بوجود هذه الأشياء. الأشياء التي لا تصل إليه عن طريق الحواس[٢]. والقرآن الكريم يستخدم لوصف هذا المفهوم لفظ الإيمان بالغيب. ولقد جاء في قوله تعالى: ﴿ **آلم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب...** ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ **جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب...** ﴾[٤].

عندما خلع سيد قطب الجسم والعقل عطّل إحساسه بالزمن، حينها أحس بالوجود المطلق الذي لا يقيده زمان ولا مكان. وهذا يعني أن الشاعر عطّل طاقته الحسية، وهي طاقة الجسم المتصل بالحواس. واستخدم طاقته المعنوية التي لا يدري أحد على وجه التحديد مكانها وماهيتها ولكنها التفكير التصوري التجريدي الذي يدرك الكليات ويدرك القيم العليا.

الشاعر يتحسّر على ضياع أفضل أيام عمره. ويتحسر على ما مضى من زمن، متمنياً عودة الماضي وأيام الشباب. وهو يحسب الخلود غاية يسعى لتحقيقها[٥]. وذلك في قصيدته بعنوان "البعث"[٦] حين قال:

هكذا عشت كسكان القبور * في ربيع العمر في العهد النضر
آه لو أستطيع للماضي الحسير * رجعة من بعد ما جاء ومر

---

(١) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، مرجع سابق، ص ١٠٧
(٢) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٣٢
(٣) سورة البقرة، الآيات (١، ٢، ٣)
(٤) سورة مريم، الآية ٦١
(٥) عبد الباقي محمد حسين، الديوان، ص ٣٣
(٦) البعث: الديوان، ص ١١١

كنت أحييه كما يحيـــا الشـــباب * نابضاً بالحب جيـــاش الأمـــاني
ممسكاً أهدابه خـــوف الـــذهاب * مستعراً فيـــه حتـــى الثـــواني

وفي قصيدة أخرى نجده جازعاً على أن يوماً مرّ من حياتـــه دون أن يحس به. جاء ذلك في قصيدة أمرّ يوم[١].

مر يوم منذ ما استيقظت أمس مرّ يوم!
نبأٌ يأباه وجداني وحسي فهو وهمْ
كيف مرّ اليوم! ما هذا العجب كيف مَرْ
تكذب الأفلاك أم حسى كذب؟ أم سخر؟
لم تكن فيه حياة أو أمل أو تمتع
وهو محسوب علينا في الأجل فهو أضيع!

وكذلك ينادي الشاعر ليلات الريف في لهفه وذلك حين قال في قصيدته (الليلات المبعوثة) [٢].

تلك ليلاتنـــا، وهـــذا صـــداها * إيه ليلاتنا، أخلدي لا تغيبـــي

وفي قصيدة (العودة إلى الريف)[٣] حين قال:

إني فقدتك في الطفولة غـــافلاً * عما حويت من الوجود السامي

فالشاعر مولعٌ بذكريات الماضي معتز بماضية آسفٌ عليه.

وينعكس هنا الإحساس الغريب بالزمن في قصيدته "الحياة الغالية"[٤].

بحر الكامل

واليوم آسف للـــدقائق تنطـــوي * من عمري الغالي الثمين الطيب
واليوم أرقبها وأرقب خطوهـــا * فأعيشها مثلـــين بعـــد ترقبـــي
وهي العميقة كـــالخلود وإنمـــا * تمضي حثيثاً في خطا المتوثب
وأود لو هي أبطـــأت وتلبثـــت * في خطوها لبث الوئيد المكثـــب

---

(١) مريوم، الديوان، ص ٦٤
(٢) الليلات المبعوثة، الديوان، ص ٨٧
(٣) العودة إلى الريف، الديوان، ص ٨٥
(٤) الحياة الغالية، الديوان، ص ١٩٤

ويتجدد تمسك الشاعر بالخلود ودوام أيامه وحياته. ويسلك إلى ذلك طرائق غددا. فتارة يعتصم بالحبِّ ويتوارى خلفه؛ لتخلد الحياة. وذلك حين قال في قصيدته (عصمت الحب): بحر الخفيف:

وغناء عن الخلود غرام * هو رمز ووصلة للبقاء[1]

وهو يعلو بالروح عن خطل الجسم (م) * ويضفي عليه ثوب الضياء

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن فيه مظاهرُ الدوام والاستقرار التي تخفف من حدة شعوره بمرور الزمن. وذلك حين قال:

يا ريف فيك من الخلود أثارة[2] * تنساب في خلدي[3]وفي أوهامي

وترد إحساسي إليك إذا خلت * نفسي إلى الآمال والآلام[4]

وعندما يصل الشاعر إلى أن دوام الحال من المحال، وأنّ الخلود لا يمكن مع طبيعة البشر، يعود ليتعزى بأخيه محمد قطب، ويرى فيه امتداداً لحياته، وخلوداً ولو مؤقتاً يخلقه في الحياة. فيهديه هذه الأبيات:

فأنت عزائي في حياة قصيرة * وأنت امتدادي في الحياة وخالفي

تخذتك لي ابنا ثم خدنا فيا ترى * أعيش لألقى منك إحساس عاطف

على أيما حال أراك مخلدي * وباعث أيام العذاب السوالف

في كل ما سيق نستطيع أن ندرك أن إحساس الشاعر بالزمن ومحاولاته للخلود، ظاهرة مهمة، بدت في كثيرٍ من أشعاره. لذا وجب الوقوف عندها.

لقد كان أبرز صفات أسلوبه ومنشأ جماله الخيال البديع والتصوير الدقيق، وتلمس وجوه الشبه بين الأشياء، والبأس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في ثوب المعنوي.

---

(١) عصمت الحب، الديوان، ص ١٩٨

(٢) أثارة: بغية

(٣) خلدي: عقلي

(٤) البيتان من قصيدة (عودة إلى الريف)، الديوان، ص ٨٥

المبحث الرابع
ملكة التصوير وروح القصص

"وقف الشاعر في كثير من قصائده موقف المصور، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير"[١]. ولعل هذا مرجعه أن للشاعر ملكة صويرية "قصصية. لقد جاءت صوره منتظمة ومتناسقة . تعاونت أجزاؤها وعناصرها مع بعض. لقد حذف كلّ ما يضعف العاطفة. فكانت العاطفة قوية رزينة مراعاة لوزنها الذي يتلاءم وتلك العاطفة. وتجنب كل العناصر التي لا تلائم ولا تناسب تلك الصور فجاءت الصور متناسقة متآلفة، لقد قال أحمد الشايب في كتابه: "أن التناسق يتحقق بعدة أشياء منها إبعاد العناصر التي لا تلائم موضوع القصيدة وحذف ما يضف العاطفة، ومراعاة الوزن للعاطفة المصورة"[٢].

ومن القصائد التي تناول فيها الشاعر ألواناً من التصوير الفني، وروح القصص "الشعاع الخابئ، خراب، الصحراء، الإنسان الأخير، خريف الحياة، الجبار العاجز، ناحت الصخر". انظر إلى الأبيات الآتية من قصيدة (الشعاع الخابئ)[٣] حين قال:

لاح لي من جانب الأفق شعاع * بينما أخبط في داجي الظلام
في صحارى اليأس أسرى في ارتياع * حيث تبدو موحشات كالرجام[٤]

هنا تصوير بديع لحالة الشاعر وهو يسير في صحارى اليأس الموحشة المظلمة إلا من بصيص شعاع في الأفق، صورة تبين أنه يسير في حلقة مظلمة وما حولها نور خافض.

وفي قصيدة الجبار[١] العاجز يصور كتلة بشرية تتلوى وتصرخ في حشرجة مفزعة. جعلها بقايا رجل متحطم صريع أشل، يترى الداء فيه كأنه يغالب معركة داخلية عنيفة.

---

(١) عبد الباقي محمد حسين، مرجع سابق، ص ٣٤

(٢) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مرجع سابق، ص٢٥٤

(٣) الشعاع الخابئ، الديوان، ص ١١٣

(٤) الرحام من رحم القبر وضع عليه الرجام وهو شاهد القبر

حطـــم الـــدهر قـــواه فـــانحطم * وتنزّى[٢] الداء فيـــه والألـــم
ودوت من فيه تعوى صـــرخة * تتلـــوى فيـــه حتـــى تحتـــدم
صرخة الجبار يشـــكو مرغمـــاً * ذلة الشكوى وإهوان الرغم[٣]

ولكن يبدو من الصورة، أن العجز الذي أصاب تلك الكتلة البشـــرية أو ذلك الرجل المتحطم ليس أصيلاً فيه، بل كان له ماضٍ جبار في ناحيـــة مـــن النواحي الحياتية، ولكن كان الدهر أقوى منه. وذلك حين قال:

يشتكي العجـــز الـــذي أقعـــده * عن صراعات وهـــول يقـــتحم
تســـمع القـــوة فـــي صـــرخته * من وراء العجز تدوى فتصم[٤]

أما روح القصص فهي واضحة ومتفشية في كثير من قصائده. يرمـــز للفكرة بقصة قصيرة أو حوار تحس فيه أنك أمام رواية شعرية أو مشهد مـــن مسرحية تعالج كثيراً من قضايا ومآرب الحياة. والقصة في القصيدة تصـــور موقفاً من مواقف الحياة. ومن أفضل قصائده في هذا الاتجاه قصـــيدته (فـــي الصحراء)[٥] ولقد سبق الإشارة إليها، وهي نموذج للحوار القصصـــي الـــذي دار بين نخلتين وجدا نفسيهما في تلك الصحراء القاحلة.

وفي قصيدة "التجارب"[٦] صور الشاعر شقياً أعفته الأقدار من تجاربه وماضيه الذي سخط منه، وأطلقته كأنما ولد حديثاً، ولكن لم يطب له الحـــال. وعاد يطلب من الأقدار أن تهب له ماضياً سعيداً. فاستجابت له الأقدار ولكنه عاد يشعر بالغربة. ويطلب من الأقدار أن تعفيه من هذا الماضي. وأن تعيد له ماضيه وتجاربه وآماله التي ارتبطت به. فاستجابت الأقدار للمرة الثالثة وعاد الشقي لماضيه في لهفة واشتياق. وذلك حين قال: بحر الطول:

شكا بؤس ماضيه الحفيل الجوانب * بكل مصاب فادح العبء صائب

---

(١) الجبار العاجز: الديوان، ص ٢٤٠
(٢) تنزي: المراد زاد الألم
(٣) الرغم: على كره منه
(٤) فتصم: من شدة الصرخة تفقد السمع
(٥) في الصحراء: الديوان، ص ١١٥
(٦) التجارب: الديوان، ص ١٢٩

وود لو أن الـــدهر يعفيـــه برهـــة * من الغابر المملول جم النوائـــب
فأصغت له الأقدار فـــي أمنياتـــه * على أنها لم تصغ يوماً لطالـــب
وأعفته من ماضـــيه حتـــى كأنـــه * وليد خلى القلب من كـــل نائـــب

ولكن كيف وجد دنياه الجديدة؟ جديدة في مطالبها جديدة فـــي أحـــداثها جديدة في كل جوانبها:

ولكنه ألفـــاه أســـوان[١] موحشـــاً * كما أفرد الإنسي من كـــل صـــاحب
والفاه في هـــذي الحيـــاة كأنـــه * غريب عرا[٢] في عالم من غرائـــب
والفاه مقصوص الجناح إذا هفـــا * إلى الأوج[٣] لم يسعفه عزم المغالب[٤]
وإن هم لم يبصر له من ركيـــزة * تضاعف عند الوثب جهد المواثـــب[٥]
وقد أبصر الآمال عرجاء لم تجد * لها سنداً مـــن ذكريـــات ذواهـــب[٦]

ماذا فعل بعد ذلك إذن؟ بدأ يشكو إلى الأقدار تلك المصائب في دنيـــاه الجديدة. نسمع إليه يقول:

فعاد إلى الأقدار يشكو صـــنيعها * ويوسعها في شكوه عتب عاتب
أما يستطيع الدهر لو شـــاء نصـــفة * له عوضاً من غابر منه خائـــب
بماضٍ سعيد لم يشب صفوه الأسى * فيحيا على ركنين: آت وذاهب
فأصغت له الأقدار فـــي أمنياتـــه * على أنها لم تصغ يوماً لطالـــب

كيف وجد الشقي ماضيه السعيد الذي وهب له؟ يقول الشاعر:

---

(١) أسوان: حزين

(٢) عرا: من العرى، والمراد أنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة

(٣) لأوج: قمة العمل

(٤) عزم المطالب: يزيد في النوه أن يشعر الإنسان أنه يغالب، فإذا لم يجد ما يغالبه لم يكن هناك مـــا يثير عزيمته

(٥) "محور الارتكاز" يساعد "القوة" في عالم المارة وهو هنا الماضي الذي يتكئ عليه

(٦) الآمال والذكريات ركنا الحاضر، فإذا ذهبت الذكريات بقيت الآمال عرجاء

ولكنه الفـــاه لـــم يعـــد مالكـــاً * لما منحته من عزيـــز المواهـــب
والفاه لم يكشف خبيئـــة نفســـه * لذيالك[1] الماضي الذي لم يصاحب

هو ماض جديد سعيد هانئ ولكنه لا يملك منه شيء. لم ير فيه نفســـه. ليس من ردائه. فهو رداء لغيره. فاليذهب هذا الماضي رغم سعادته، إلى من هو له. فعاد إلى الأقدار تائباً حاسراً طالباً منه أن يعيد له ماضيه الذي صنعه بنفسه، أن يعيد له تجاربه وأيامه الماضية بحلوها ومرها. وذلك حين قال:

فعاد إلى الأقـــدار يطلـــب عونهـــا * على رجع ماضـــيه بحســـرة تائـــب
أجل عاد ملهوفـــاً لمـــر التجـــارب * وأيامه الأولى الظمـــاء الســـواغب[2]
أجل ذلك الماضي الذي هو بضعة * من النفس دست في الحشا والترائب[3]

فأصغت الأقدار لأمنياته، فعاد الشقي إلى دنياه وإلى تجاربه وإلى أيامه الأولى التي كانت جزءاً منه. عاد بعد غربة طويلة، وعـــاد لـــه الاســـتقرار والاطمئنان رغم ما فيها شقاء وتعاسة. وذلك حين قال:

فأصغت له الأقدار في أمنياتـــه * على أنها لم تصغ يوماً لطالب
وعاد إلى دنياه من بعد غربـــة * وألقت عصاها واستقرت بآيب

والناظر إلى هذا التصوير يجده هادئاً وغامضاً. ومعروف أن الهـــدوء والغموض يثيران في الشاعر خواطر التصوير والتعبير. فالشاعر يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، للشاعر سيد قطب ملكة تصويرية وقصصية هائلة، جعلته يصور الأشياء الحسية والحركات الفكرية ويجســـمها. ويصـــور الخواطر النفسية التي تجول بنفسه. كل ذلك يصوغه في وعي فني رائع. كما يستطيع تصوير خلجات نفسه تصوير المنتبه لهـــا فـــي حركاتهـــا الداخليـــة المستمرة. انظر إلى قصيدته خبيئة نفسي[4]:

---

(١) لذبالك: لذلك

(٢) السواغب: مفردها ساغبة: جائعة متعبة

(٣) الترائب: عظام الصدر موضع القلادة. والمراد دست في القلب والصدر

(٤) خبيئة نفسي: الديوان، ص ١٣٢

بحر الطويل

خبيئة نفسي قد غفا الكون فاســفري * وكوني سميري بعد أن نام سمري
سها الدهر والأقدار رنقهــا الكــرى * وهوّم في جوف الدجى روح خير
خبيئة نفســي مــن عهــود ســحيقة * ومن جوف آباد مضت قبل مولدي
أحسك في أغــوار نفســي ولا أرى * محيــاك إلا كالخيــال المشــرد
خبيئة نفسي، ما ترى أنــت؟ إننــي * أريدك في جو من الضوء معلــم
أعنصرك الإيمان والطهــر أصــله * وإلا إلى الكفران والرجس منتم؟
خبيئة نفسي فــي ثنايــاك معــرض * لما لقيته الأرض فــي الجــولان
وفيك مــن الآبــاد ســر وروعــة * وفيك صــراعات بكــل زمــان

لم يجد الشاعر تفسيراً معيناً لخبيئة نفسه. وعندما أعياه البحث اتهمهــا بأنها طلسم من طلاسم الحياة، وإن لم تكن هكــذا فالتكشــف عــن طبيعتهــا وحقيقتها وعن الصور والمعاني التي تحتويها حتى يســتطيع أن يطــالع مــا مضى وما هو آتٍ من رُؤىً وأمانٍ. وذلك حين قال:

أبيني إذن عن ذلك العالم الــذي * تضمنته من صور ومعــان[1]
أبيني أطالعْ في ثناياك ما مضى * وما هو آتٍ من رؤى وأمــان

وانظر إلى تلك الخواطر النفسية التي تجول فــي داخلــه ويصــورها الشاعر، ويحسها كأنها صورة محسوسة أمام القارئ. حين قال:

أكــاد أشــارف قفــر الحيــاة * فأشفق من هولــه المرعــب
هنالــك حيــث ركــام الفنــاء * يلــوح كمقبــرة الغيهــب
هناك حيــث يمــوت الرجــاء * وتثــوى الأمــاني كالمتعــب

(١) البيت من الطويل الثالث، التفعيلة الثانية من عجز البيت مكفوفة، والمكفوف هو حذف السابع الساكن

المبحث الخامس
التصوير والظلال في تجربته القصصية

لقد حبا الله سيد قطب ميزات عديدة أهلته إلى إدراك الكثير من المعاني والصور. مارس نظم الشعر في فترة مبكرة من حياته، كما زاول فن الكتابة في مقتبل العمر. كان شعره ونثره أدباً يميل إلى استخدام الصور والظلال، ويسلك مسلك أرباب الفن. لقد استعان سيد قطب بالألفاظ في تصوير خواطره وأفكاره وهو يرى أنّ اللفظ لم ينبعث من فم قائله إلا بعد وجود صورة معينة يرمز إليها في ذهنه، وهو بذلك لا ينشئ في ذهن السامع صورة لا عهد له بها من قبل، ولكنه يقتصر على استدعاء الصورة الكامنة في نفسه. ويرى أن غاية العمل الفني والأدبي هي التصوير والتأثير فكان ذلك هو أحد العوامل التي ساعدته في معالجة كل فنون الأدب.. له كتب قصص رائعة: طفل من القرية، أشواك، المدينة المسحورة، كما نشر عدداً من القصص القصيدة المصورة في الصحف والمجلات.

إنّ التجربة القصصية لها صلة وثيقة بالتجربة الشعرية وهما جزءان مكملان لبعضهما فنيّاً وأدبياً واعتمد سيد قطب في كليهما على الصور والظلال والألفاظ في تصوير تجربته الشعورية والذاتية التي قد مرّ بها، والتأثير في نفوس الآخرين عند نقل التجربة إليهم في صورها الموحية.

طفل من القرية[1]:

تقع القصة في اثني عشر فصلاً وهي المجذوب، وضابط الجمباز، المدرسة المقدسة بعثة طبية، سيد الحكيم العفاريت حركة ثقافية، قانون اللصوص، جمع الأسلحة، الحصار، أحزان الريف، والرحيل.

كان سيد قطب من المعجبين بأسلوب وطريق طه حسين لمعالجته للأمور التي يتناولها وعلى ضوء الأيام كتب سيد قطب طفل من القرية وبدافع من هذا الإعجاب قدمه بهذا الإهداء[1].

---

(١) نشر الكتاب عام ١٩٤٦م من لجنة النشر الجامعيين بالقاهرة، الكشميري، مرجع سابق، ص ٣٣٧

إلى صاحب كتاب الأيام.. الدكتور طه حسين بك إنها يا سيدي أيام كأيامك عاشها طفل في القرين في بعضها من أيامك مشابه وفي سائرها عنها اختلاف: اختلاف بمقدار ما يكون بين جيل وجيل وقرية وقرية وحياة وحياة بل بمقدار ما يكون بين طبيعة وطبيعة واتجاه واتجاه ولكنها –بعد ذلك كله– أيام من الأيام.

جاءت القصة على غرار الأيام وعلى منوالها لأن سيد قطب سلك في كتابه أسلوب الأيام ومن أبسط مظاهر ذلك المسلك استخدامه ضمير الغائب مكان ضمير المتكلم كدأب طه حسين، مع فارق هام هو أن طه حسين تجاوزت ذكرياته إلى ما بعد مغادرته لقريته، حيث أن سيد قطب أسدل الستائر عليها عند مغادرته لقرينه قاصداً القاهرة ولم يتجاوز الخامسة من عمره.

اهتم سيد قطب كثيراً في تصويره للجو الخرافي في القرية. صوّر معتقداتهم الخرافية وتصوراتهم الوهمية التي كان لها الأثر العميق في حياتهم العادية. ورغم تلك المعتقدات الخرافية كان لأهل القرية علاقة وثيقة بالشعائر الدينية الإسلامية وكان ذلك واضحاً في نشاطاتهم ومعاملاتهم اليومية رغم تسرب بعض الأشياء الاسطورية في بعض معتقداتهم.

لقد كشفت القصة عن رواج السرقة واللصوصية في حياة الريف كان اللصوص أمراء أحراراً، ينصرفون في أمور القرية كيفما شاءوا كان ظلمهم وصلفهم وشرهم أمراً عادياً، لا يؤاخذون عليه، بل زاد في اعتقاد أهل القرية أن هؤلاء الأشرار إنما هم رجال أشداء، وأعمالهم الشنيعة علامة من علامات القوة والرجولة. لا مقاومة ولا مرافعة ولا صمود ضد هؤلاء، بل كان الخضوع والخنوع والانقياد لهؤلاء الرجال، وبلغ الفساد والشر مبلغه، وكل ذلك يحدث على مسمع ومرأى من الحكام وأولياء الأمور.

وكشفت القصة عن عملية الثأثر والانتقام التي كانت لها جذور في تقاليد أهل الريف حين قال: ".. ومثل هذا يقع في حوادث القتل للثأر.. تلك

---

(١) البليهي، سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري، الرياض، ١٣٩٠/ ١٣٩١هـ، ص ٦٣

الحوادث التي تتكرر دائماً... وقد يقتل الرجل وله طفل صغير واحد، فما تزال أمه، وما يزال الناس في القرية يقصّون على مسامعه حديث أبيه القتيل، حتى يتهيأ للثأر بمجرد أن يشتد ساعده، وحينئذ فقط تقام للقتيل جنازة، ويقبل أهله العزاء وإلا بقي الأهل معيرين في القرية، لا يرتفع لهم رأس قبل الأخذ بالثأر"(١).

من أطرف الصور التي كشفتها القصة، صورة قصته مع أول فتاة أحبها سيد قطب وذلك حين قال: "... ثم يذكر أشياء أخرى أهمّ في نظره وأعمق في نفسه.. كانت المدرسة قد فتحت أبوابها لبنات القرية أخيراً على أن يتعلمن مع الصبيان طول اليوم فلم يكن نظام نصف اليوم لبنين ونصفه الآخر للبنات قد اخترع في القرى.. وقبل بعض الآباء أن يرسلوا ببناتهم إلى المدرسة –ولا سيما وهن طفلات صغيرات لا يتجاوزن العاشرة– وكان عددهن في المدرسة كلها سبع بنات.. ومع أنهن لا يتميزن بشيء عن بقية بنات القرية فإن وجودهن في المدرسة قد أوجد فيها جواً غريباً وأشاع فيها عطراً خاصاً.. ذلك الجو هو مزيج من الحساسية الحادة والرغبة المكبوتة في محادثة هذا الجنس الغريب في المدرسة، ومن الحياء القروي الساذج والحذر من تجاوز الحد فيقع المتجاوز تحت طائلة العقاب المدرسي والمنزلي على السواء.. ولكن كله لم يمنع بعض التلاميذ –ولا سيما الكبار– أن يأخذوا في معاكسة البنات عند انصرافهن من المدرسة بالكلمات التي قد يكون بعضها نابياً.. وبالحركات والأصوات العابثة.. وكان الغرض كله هو لفت النظر بطبيعة الحال.. أما هو (يعني نفسه) فإن حياءه الشديد وتقاليده العائلية قد أمسكت به بعيداً عن هذه الحركات.. ولكن هذا لم يكن معناه أنه أقل رغبة من الآخرين في لفت النظر إليه.. إنما كانت وسيلته إلى ذلك مما يتفق مع نشأته فأخذ جانب المدافع عن كرامة البنات حيثما وجه إليهن اعتداء.. ومع هذا فقد راعه أن يكسب الموقعة بلا نضال.. لقد كان في البيت ذات يوم فما راعه إلا البنات السبع يطرقن الباب ويسألن عن شقيقته الصغيرة للعب معها داخل

(١) الكشميري، مرجع سابق، ٣٨٤

الدار.. لم يكن هذا بلا تمهيد فقد كان بين البنات أخت لزوجت أحد أعمامه ومن بينهنّ ابنة عمها كذلك. وكان لهذه في نفسه شأن خاص.

ولم يكن الحديث ممنوعاً بينه وبين الأولى بلا كلفة. أما الأخرى فمع أن صلة المصاهرة البعيدة كانت تسمح له بالحديث إلا أنه كان يرهبه ويتوقاه في فراسة صوفية وفي حياء عميق.. ولكنه على كل حال لم يدعهن إلى المنزل وما كان يستطيع أن يوجه هذه الدعوة.. فلما حضرن جميعاً تقودهن الطفلة الأولى وتتمتع الأخرى في خفر محبب.. أحس في نفسه نشوة لم يشعر بمثلها قط لقد أدرك أنه هو المقصود بهذه الزيارة لا أخته الصغيرة وأحس أن هذه الأخرى تخصه بما يخصها به وإن لم يتبادلا الكلام.. وتكررت هذه الزيارات ولم يزد الأمر فيها على مقابلات خاطفة ولكنها تركت في نفسه أثراً لا يمحى.

"كانت هذه الثانية خمرية اللون ذات طابع خاص غير مكرر في الوجوه ولم تكن حسب مقاييس القرية جميلة فليست بيضاء البشرة وليس أنفها دقيقاً بالقدر المطلوب وليس فمها كذلك "خاتم سليمان".. ولكنها هي وحدها من بين بنات المدرسة بل من بين بنات القرية جميعاً كانت تبدو في نظره جميلة وكان سر جمالها عنده أنها ذات طابع خاص وإن لم يكن يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص.

"وعندما غادر القرية إلى القاهرة ظل هذا الوجه يخايل له ويرسم نماذج الجمال في نظره حتى عاد بعد ثلاثة أعوام وقد تغيرات حياته وتغيرات ثقافته وتغير عالمه.. إلا أن السؤال الأول الذي توجه به في حذر والتواء: كان هو السؤال عن مصير الطفلة التي فتنته أول مرة.. وعلم أنها تزوجت في جهة نائية عن القرية ورأى نفسه في حاجة لأن ينسحب من الجمع. ورأى عينيه تتغرغران بالدموع..." (١).

كتاب "طفل من القرية" صورة صادقة عن الريف المصري وقت طفولة سيد قطب.. ولذا فهو يقدمه للقراء بهذا التقديم: "هذه صورة من حياة

---

(١) البليهي، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٦- ٥٧

القرية عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان لم أنمق فيها شيئاً ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القرطاس.. قليل من هذه الصور قد زال الآن وحلت محله صور جديدة.. وفي تسجيله هنا احتفاظ بصفحات من الحياة القومية والتاريخ الحديث في سجل الفنون.. والكثير منها لا يزال يعيش ولكن أهل المدينة المترفين لا يكادون يتصورونه لا في عالم الواقع ولا في عالم الخيال.. وفي تسجيله هنا ما يطلع الجيل الجديد على صور من الريف القومي بخيرها وشرها لعل لهم رأياً فيما ينبغي أن يبقى منها وما ينبغي أن يزول".

يقول الدكتور إبراهيم عبد الرحمن البليهي: "... ليس الكتاب تاريخاً لطفولة سيد قطب ولكنه صورة من حياة القرية عاصرت طفولته صيغت فصوله بأسلوب قصصي ممتع تتخلله النكات... والفكاهات.. ما يبكي.. وما يضمك .. ما يسر وما يحزن .. ما يرضى.. وما يسوء.. [1].

من الصور التي كشف عنها سيد قطب ما قاله عن ضابط "الجمباز": "ذلك الرجل الذي كان يبدو في خيال التلاميذ الريفيين وكأنه الشيطان في سرعة الحركة وخفة الوثب وضبطه العجيب "للجمباز" فكان هذا مع زعقاته فيهم.. وتكشيراته لهم وعصاه التي يهزها في يده مهدداً: كان هذا كله مثار رعب جارف حتى لقد كان يوم حضوره عندهم كيوم الحشر يشيب كهولة الولدان...".

ويقول عن البعثة الطبية "... وتوارى الفزع قليلاً ليحل محله التساؤل المصحوب بالدهشة والاستغراب لهذا الطلب الغريب (طلب عينة من البراز).. إن أحداً لم يطلب إليهم مثل هذا الطلب من قبل وماذا يصنع الحكيم (الطبيب) بهذه العينات العجيبة؟!.

"وعلى سهولة الطلب ورخصه فإنه بدا صعباً عزيزاً في كثير من الحالات.. لقد طلب إليهم جميعاً أن ينطلقوا إلى دورات المياه بمساجد القرية وأن يعودوا بعد نصف ساعة ومعهم المطلوب.. وليس كل تلميذ بمستعد لتلبية

---

(١) البليهي، مرجع سابق، ص ٦٤

هذا الطلب في مثل هذا الوقت ولا سيما وأن الفسحة المدرسية كانت قد أفرغت ما في البطون.

"فأما الذين كان في أحشائهم بقية فقد انطلقوا مطمئنين.. وأما الذين أحسوا أن أمعاءهم لا تستجيب لهم أو حاولوا ولم يفلحوا.. فقد علا وجههم الاصفرار وارتفعت دقات قلوبهم من الخوف وركبتهم الحيرة التي تركب المذعورين..

إن أقل ما يتصورونه إن هم عادوا فارغين: أن يبقر الحكيم (الطبيب) بطونهم ليتناول منها العينة المطلوبة.. أو أن يدخل في أجسامهم قنوات طويلة لسحب هذه العينة.. وفي الأولى الموت.. أو خطر الموت.. وفي الثانية العار أمام إخوانهم وعند القرويين.

"... وهنا تتفتق الحيلة وتبدو قيمة التعاون.. إن التلاميذ لإخوة فمتى تظهر هذه الأخوة إن لم تظهر الآن؟

"لقد انطلق المحرجون يرجون إخوانهم أن يمدوهم بعونهم وأن يتولوا عنهم ملء هذه الأحقاف الصغيرة.

أجل فلقد كثر التساؤل بينهم: أو يكفي نصف الحق أو لا بد من ملئه؟

"وكانت أغلبية الآراء تشير إلى أنه لا بد من ملئه.. وهنا تظهر الطبائع على حقيقتها فالشدائد هي أفضل محك لها.. فأما ذووا الأصل الطيب والطبع النبيل من التلاميذ فقد تقدموا لمعاونة زملائهم بلا تردد وأما قليلو الأصل وذووا الطبائع اللئيمة فبعضهم امتنع شفاء لحزازات قديمة وبعضهم تمنع لؤماً وانتهازاً للفرصة".

"ولكن هذا التعاون لم يسد الحاجة إلا إلى حد معين وبقي عدد كبير من الإخوان الذين لا يجدون ما ينفقون... وهنا تفتقت عبقرية أحدهم عن حيلة بارعة، إن في مراحيض المساجد متسعاً للجميع....

"أما كيف كان ذلك؟... فلا بدمن بيان عن هذه المراحيض...".

ولقد رسم سيد قطب صورة للمجذوب (الدجال المتلون)، قال عنه: "الرجل المشعث الشعر الممزق الثياب العاري أحياناً من كل ما يستر الجسد المنطلق في شوارع القرية وطرقاتها وفي يده عصاه ينال به كل شيء وكل أحد وهو يرسل همهمة مختلطة مخيفة.. أو قهقهة في صوت عال مرهوب.."... وهو مع ذلك –في نظر أهل القرية– ولي من أولياء الله وحتى عصاه من شجر الجنة عند أولئك القرويين السذج!!.

جاء الكتاب صورة حافلة وسجلاً للحياة الريفية، وتاريخاً للحياة الاجتماعية والاقتصادية في الريف المصري آنذاك. ذكريات أثبتها في قالب قصصي يجمع بين خصائص الترجمة الذاتية والتاريخ والمذكرات وبين الرواية الفنية يغلب عليه طابع المشاهدة والتأثر أكثر من طابع الخيال والتخمين.

تناول الكتاب شخصيات متعددة، وعالج نماذج إنسانية عديدة، وسجل مشاهد حياتية ريفية حياة مصورة تصويراً واقعياً. ووضع الواقع أمام القارئ بصورة دقيقة.

الكتاب بحث القارئ على الفهم والإدراك، لتغيير الأوضاع، واستئصال الجهل والخرافات، وإزالة الفقر، وقمع البؤس، ومكافحة الاستقلال والاحتيال.

تميز الكتاب بقوة العاطفة، وشدة الجاذبية، وعظم التأثير وسلاسة الأسلوب، ومطاوعة الأفكار، واستقامة البيان.

لاعتماد سيد قطب في كتاباته على الأسلوب التصويري. لم يخاطب الذهن وحده خطاباً تجريدياً بأن يلقي إليه المعاني مجردة، إنما خاطب الذهن والعاطفة والوجدان والشعور خطاباً تصويرياً، حمّل ألفاظه وتراكيبه كل ما تحتمله من الصور والظلال بطريقة التصوير والتخييل والتظليل.

كتاب "أشواك"(١):

رواية تحكي عن حبه لفتاة قاهرية. بدأ حبه لها ناراً ملتهبة وانتهى رماداً بارداً. تلبس فيها باسم "سامي" بطل المأساة، وكشف عن كونه البطل

(١) نشر سيد قطب تلك الرواية عام ١٩٤٧م من دار سعد، مصر بالقاهرة

الحقيقي في إهدائها حين قال: "إلى التي خاضت معي في الأشواك، قد حيت ودميت وشقيت وشقيت. ثم سارت في طريق وسرت في طريق: جريحين بعد المعركة. لا نفسها إلى قرار ولا نفسي إلى استقرار..." [١].

يقع الكتاب في أربعة عشر فصلاً هي: أشواك، وكان الصباح، صراع، سخريات، العاصفة، أنثى، العذراء الأم، الماضي الحي، القطيعة، التزام المسحور، الهاربة، الأسطورة الخالدة، عارية أحلام.

أحب سامي سميرة أحبها من صميم فؤاده. لم يحبها لجمالها ولا لجسدها بل أحبها لأنه وجد فيها "جاذبية ساحرة" قال عنها في كتابه "لم تكن ممن يحسبهن العرف جميلات كان تكوينها الجسدي ليس ممتازاً، ولكن هناك في وجهها جاذبية ساحرة...".

استجابت سميرة لحب سامي، وتبادلا حلاوة ذلك الحب، واقتطفا من أزهاره، ومرت الأيام، وامتدت خيوط الأماني والآمال، والتفتت الأنظار إلى المستقبل، ووثق الحبيب بحبيبته، وظن أنها أخلصت له وتقدم يخطبها وذلك حين قال: "لقد أرادها له زوجاً لأنه حسبها شيئاً ثميناً عزيزاً لا تتداوله الأيدي، ولا يحصل عليه إلا من هذا الطريق، فقرر أن يغالب ظروفه الخاصة، وأن يضحي بالكثير ليحصل على هذا الشيء الثمين".

كان حيّاً عذرياً. ظنه سينتهي إلى زواج، ولكنها كانت تضمر حباً آخراً للضابط "ضياء" أفصحت عنه ساعة حفل الخطوبة، فاندلعت عواطفه المتأججة، والتي كانت مزيجاً من الأسى والغيرة ولئن خسر الزواج فقد ربحت المكتبة العربية رائعة من روائع سيد قطب ولولا خسرانه لما كان هذا الكسب الثمين[٢].

---

(١) سيد قطب، أشواك، ص ٥١، الدار السعودية للنشر، جدة

(٢) البليهي، مرجع سابق، ص ٥٧

"لقد سبقه إلى هذا اللون من التأليف كلّ من الـدكتور محمـد حسـين هيكل، الذي ألّف قصّته المشهورة "زينب" والدكتور عباس محمود العقاد الذي ألّف قصته "سارة" وهي رموز لأسماء حقيقية.

"يبدو أن هناك تشابهاً متقارباً بين "أشواك" سيد قطب وبين سارة عباس محمود العقاد عالجت الروايتان مأساة الفشل في الحب على منوال واحد، لكن الفشل في "سارة" نتيجة شك "همام" في حبيبته "سارة" الذي لا تؤيده المشـاهدة والواقع –كما يسيطر على قصة "سارة" عنصر المنطق والفكر ويقع كل شيء فيها لفكرة مقررة من قبل. ويغلب عليها عنصر التحليل والدراسة النفسية على تطور الأحداث وانطلاقها الطبيعي في مصيرها، الأمر الذي أدى إلى الانفكاك والجفاف في الرواية.

أمّا "أشواك" سيد قطب تبرز من الواقع ومن حقيقة واقعيـة، وتنطلـق انطلاقاً حراً طبيعياً. ثم أن أسلوبه ليس أسلوباً تعليقياً تحليلياً، بل يترك القصة تقتحم وتختار منحاها وتتجه في سيرها الطبيعي حتـى تـؤدي بنفسـها إلـى الحقائق والأفكار وهذه هي أسباب حيويتها ورشاقتها، لا انفكاك في حبكشـها ولا جمود في سردها وأشخاصها[1].

لقد أرسى سيد قطب بنيان روايته على الواقع وأخذت حيكتها من الحياة الواقعية. كانت المشاكل النفسية في الحب هو المحور الذي تدور حوله القصة والمشكلة المركزية هي مشكلة سميرة التي أصبت ضياء والذي أضحى حبها له ضحية لأسباب تعود إلى أسرته وبعضها إلى شخصه كان سامي مخلصـاً وأميناً في حبها، ولكن لم تكن تتمحي نقوش "ضياء" من فؤادها حتى بعـد أن احتل سامي قلبها. فكان الأمر صراعاً عاتياً حتى ذهب حبهـا مـع "سـامي" أدراج الرياح وتزوجت "سميرة" برجل ثالث.

حاول سيد قطب لفت الأنظار إلا أن الحبّ لا يعرف المنطق ولا يتقيد بقيود إنّ "سميرة" أحبت رجلين ولم تكن مخلصة لكليهما وإن سامي رغم علمه بالصراع القائم والنفاق في قلب "سميرة"، إلا أنه لم يقدر على القطيعة فظـل

---

(١) الكشميري، مرجع سابق، ص ٣٩٨

يغالب غيرته وعزة نفسه، ولم يصل إلى القطيعة إلا بعد أن اتسعت فجوة سوء التفاهم اتساعاً قاطعاً ولكن تلك القطيعة لم تفصل القلبين. فقد كان أكثر قلقاً بعد القطيعة، وأكثر شعوراً بالحرمان فضلاً أن ينسى أو يتناسى أحدهما الآخر.

إن "أشواك" قصة مقتصرة على شخصين ولكنها تعالج أموراً وجوانب عديدة من النفس الإنسانية والمجتمع. قصة محدودة النطاق والأبعاد إلا أنها واسعة الدلالة على طبيعة الإنسانية. قصة منبثقة من الواقع، وتمثل الواقع والصدق الفني. قصة لها قيمة إنسانية لمساعدتها الإنسان على فهم أخيه الإنسان من داخله. قصة يحمل العنصر الإنساني فيها ألوان الفطرة الإنسانية الأصيلة: الحب والغيرة والتسامح والشك والحسرة والفرح والغضب والندامة، ونزعات النفس وميولها العديدة كلها تعطيها الطابع الإنساني العالمي وتضعه بين الآثار الأدبية الأصيلة.

أسلوب الرواية رائع، وعباراتها تنطلق بصورة مندفعة في نظام متناسق بين الحيكة والنص. وتتميز الرواية بأسلوبها التصويري مكان الأسلوب التعليقي البياني، فيه تصوير للمشاهد والأجواء المعنوية المطلقة.

لقد كان سيد قطب يتمتع بموهبة كبيرة في أسلوب الكتابة الأدبية والفكرية والشعرية وقد تنوعت مؤلفاته بين دواوين الشعر والكتب الأدبية والكتب الفكرية الإسلامية. كان أديباً لامعاً وشاعراً موهوباً ومفكراً إسلامياً. وتعد مؤلفاته من أهم المؤلفات الإسلامية في العصر الحديث؛ ولقد تمت ترجمة معظمها إلى مختلف اللغات مثل الإنجليزية والفرنسية والأوروبية والأندونيسية والفارسية والتركية وغيرها[١].

(١) د. محمد مورو، الإمام الشهيد سيد قطب، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة، ص ٣٠

المبحث السادس

القضايا الوطنية في شعره

القضايا الوطنية التي تعرض لها الشاعر في ديوانه تستحق ذلك الاهتمام منه، كانت قضايا مهمة، لا بد له أن يتعرض لها بهذه الكيفية. فقد أنكر سيد قطب على مصر بكاءها على ماء النيل. وذلك لأن البكاء وحده لا يجدي وطالبها إن تثب كالليث وذلك حين قال[١]:

ضجت الدنيا فماذا ترتقب * مصر من أحوالها حتى
مصر يا مصر وما يجدي البكاء * تثـــــــــــــــــــب[٢]
غضبة يا مصر كالليث وثب

ثم يواصل الشاعر إنكاره لحاضر مصر. حاضرها الذي تعيشه. فهو يراها كأنها أمة أخرى، أمة غير الأمة التي يعهدها. وكأن شعبها شعب آخر غير الشعب الذي يعرفه ويأتي الشاعر بصورة من التراث الشعري القديم؛ لتصوير الأحوال التي تبدلت في مصر، والتعبير عن الحالة التي تعيشها مصر. وذلك حين قال:

أفهذي مصر أم ماذا أرى؟ * أمة أخرى وشعب منقلب
أم ترى الأيام دارت دورة * فإذا الأسد شياه تحتلب
ما عهدنا مصر تمطي ظهرها * كذلول النوق من شاء ركب

هذه قصيدة طويلة نظمها الشاعر بمناسبة موافقة وزارة الري المصرية والبرلمان في عهد صدقي باشا على مشروع خزان جبل أولياء. تناول فيها الكثير من ألوان الصور الشعرية القيمة من ناحية النظم وتركيب الجمل ومصادر الأفكار وترابطها.

---

(١) محمد فؤاد الرجوي، سيد قطب الأديب الناقد، مطبعة القاهرة، ص ١٨٣

(٢) صوت الوطنية: الديوان، ص ٢٨٣

ومرة أخرى يستنكر الشاعر موقف وزارة الداخلية الظالم من قضية البدارى. فقد تناول سيد قطب هذه المأساة في قصيدته "مأساة البدارى" عرض فيها ما تم من انتهاك للعرض والشرف ومتهان للكرامة. وذلك حين قال:

ما ذلك العرض الشريف يثلم * ويسيل من حنق حواليه الدم[1]

ومن الذي سام النفوس مهانة * يأبى ويأنفها الذلول الأعجم

ثم يتساءل عن حقيقة العهد الذي يسام الناس فيه الخسف والبلاء. وذلك حين قال:

في أيما بلد نعيش؟ وأيما * عهد يمر على الكنانة مظلم

عهد نسام الخسف فيه ونبتلى * نقماً إذا قمنا نضج ونئنقم

ويصرخ الشاعر في وجه ذلك العهد كاشفاً عيوبه:

وحشية كشف الزمان حجابها * لا بل أشد من الوحوش وأظلم

الوحش يفتك جائعاً ويعف عن * فتكاته إذا ما يعبّ ويطعم

وقد أفلح الشاعر في رسم وتصوير حالة الشعب آنذاك، وتمنى الموت بدلاً عن هذه الإهانة. وذلك حين قال:

ماذا يعز على الهوان نصونه * لم يبق من حرماتنا ما نكرم

الموت! يا للموت! أشرف شرعة * مما نسام به ومما نُوسم

لقد التحم الشاعر بالألفاظ والمعاني التعبيرية التي تلتحم بفكره وتتغذى على وجدانه، وقوة شعوره، وعاطفته، وإحساسه، فتخرج تلك الصورة الشاخصة الحاضرة الحية المتحركة في لوحة فنية تحكي مأساة البداري الوحشية. فكانت صورة من الصور الواعية لمناهضة الاستعمار داخل بلاد مصر.

لم يكتف الشاعر بهذا، بل تعدّت مناهضته للاستعمار إلى خارج بلاده مصر. فوطنيته كانت أكبر من أن تحتويها مصر. فنظم قصيدة في ثورة

---

(١) مأساة البداري، ص ٢٨١

فلسطين. حيّا فيها الشعب الفلسطيني وحثهم على الجهاد. مبيناً أن النصر حليفهم؛ لأن النصر ينبت حيث تروى أرضه بالدماء. وذلك حين قال:

عهد على الأيام ألا تهزموا * فالنصر ينبت حين يهرام الدم

ويحثهم على مواصلة الجهاد دون خشية أو خوف أو فزع ثم يكشف حقيقة التآمر على فلسطين، حين قال:

هو الجهاد حمية جشامة * ما إن تخاف من الردى أو تحجم

إن الخلود لمن يطبق ميسر * فليمض طلاب الخلود ويقدموا

وطن يقسم للدخيل هدية * فعلام بحجم بعد هذا فحجم

ثم يرسل تحية مصر إلى أبناء فلسطين الذين يناضلون من أجل استقلالها، وذلك حين قال:

أبطال الاستقلال تلك تحية * من مصر يبعثها فواد مفعم

فالشاعر سيد قطب لم ينس عظماء مصر وصناع المجد فيها. فقد نظم قصيدة في الذكرى الخامسة لوفاة "سعد زغلول"[1].

خمس مضين تجنك الأستار * فيها وقبرك كعبة ومنار

في كل مطلع وكل ثنية * ذكرى تزاحم حولها الأفكار

باق على عنت الخطوب وعسفها * مجد تقاصر دونه الأنظار

ونظم الشاعر قصيدة حين اغتيل الدكتور أحمد ماهر بعنوان (صدى[2] الفاجعة). فالعنوان دون الأبيات يكشف مدى شعوره بالحزن. وذلك حين قال:

جف الرثاء بخاطري المفجوع * وصمت لا أفضى بغير دموعي

إني ذهلت عن المصاب بوقعه * حيناً ذهول الواهم المخدوع

فظللت أنصت للرجاء وأتقي * صوت اليقين الفاجع المسموع

كانت الأمة المصرية تعاني كثيراً من الحوادث الجسام، وهي في شغل بالنكبة العامة عن النكبات الجزئية. ولكن الشاعر سيد قطب لم يبخل أن

---

(١) سعد زغلول، زعيم حزب الوفد، المتوفى ١٩٢٧م

(٢) صدى الفاجعة، ص٢٧٤

يضمّن ديوانه قصيدة رثا فيها عبيد من جمعية اللواء الأبيض في السودان. الذي ناضل عن صلة شطري الوطن ووحدته (السودان ومصر)، في جرأة عجيبة ورجولة كاملة وبطولة فذّة غير عابئ يسجن ولا بتنكيل وحشي قاس. وذلك حين قال[١]:

سجلي يا أرض وارعي يا سماء * مصرع الجبار بين العظماء
مصرع الجشام[٢] ما إن ينثني * أو تدك الأرض أو تطوى السماء
يقف الهول لديه خاشعاً * وهو يلقى الهول بسام الرضاء

ويرى الشاعر أن العبيد صنو للشهيد عمر المختار الزعيم الليبي الذي أعدمه الطليان رمياً بالرصاص. حين قال:

ودم المختار ما زال ندياً (م) * يستحث الخانعين الضعفاء
وضحايا الأمس والأمس نذير الـ * يوم يدعو من يجيبون الدعاء

وهو يحث الشباب المصري أن يتركوا حياة النعومة أو الشغل الذي فيه متاع ضئيل. ويحثهم الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة. والنظر إلى السودان ليروا كيف كان الشهداء. وذلك حين قال:

يا شباباً ناعماً مستأنثاً * كذوات الخدر[٣] في ظل الخباء
يا شباباً تافها محتقرا * تأنف الأجيال منه في ازدراء
يا شباباً همه لذاته * فهو يحيا بين كأس وخناء[٤]
يا شباب النيل هل أبصرتمو * في فتى السودان كيف الشهداء؟[٥]

(١) البطل: الديوان، ص ٢٦٠
(٢) الجشّام: الذي تحمل التبعات الثقال. من حشم يحشم: ثقل يثقل
(٣) ذوات الخدر: الفتيات الأبكار يلازمن خدرهن (أماكن نومهن)
(٤) الخناء: الفساد
(٥) البطل، ص ٢٦٢

الخاتمـــــــة

- ❖ أهم الظواهر التي تناولها البحث
- ❖ التحاليل والنتائج والملاحظات
- ❖ أهم التوصيات

الخاتمـــة

أهم الظواهر التي تناولها البحث

في خاتمة هذا البحث، كان لا بد أن نتعرض لبعض الظـــواهر التـــي برزت في هذا الديوان. الظواهر التي شكلت سلباً أو إيجاباً لبعض النـــواحي الفنية على مجرى شعر سيد قطب. من هذه الظواهر:

١. ظاهرة التكرار.
٢. أسلوب الحوار.
٣. أسلوب الحكمة.
٤. افتتاحية قصائده بالبحث عن المفقود.
٥. افتتاحية قصائده بالاستفهام.
٦. ظواهر أخرى.

ظاهرة التكرار: وهي ظاهرة اختلف حولها العلماء منهم من يراها عيباً في الكلام وتشويهاً له. ومن العلماء من يرى التكرار وخاصـــة فـــي القـــرآن الكريم قصد إليه قصداً وعُد من ظواهر الإعجاز البلاغي في القرآن.

التكرار في ديوان سيد قطب يختلف غرضه من قصيدة إلـــى أخـــرى. فتارة يكسوها نوعاً من الموسيقى الشعرية، وتارة يوسّع الإدراك العام للمعنى. كرر الشاعر جملة "يخفق القلبان بل تهفو الشفاه" في قصيدة "داعي[١] الحيـــاة" ثلاث مرات. ليعبّر عن مدى تلهفه واشتياقه لمحبوبته. وهنا تبدو الحقيقة التي عبّر عنها واحدة ولكن الشاعر حوّل تلك الحقيقة الواحدة إلى مجموعة حقائق مختلفة باختلاف الزمان والمكان. وذلك حين قال:

يخفق القلبان بل تهفـــو الشـــفاه * منذ أن ضمتك في شوق يداه[٢]
يخفق القلبان بل تهفـــو الشـــفاه * حين يلقى ناظريـــك نـــاظراه

---

(١) داعي الحياة: الديوان، ص١٨٧
(٢) القصيدة من بحر الرمل

يخفق القلبان بل تهفــو الشــفاه * كلما بشــر بالحــب الهــداه

وجاء في قصيدة (الانتظار الخالد) التكرار في جملة (أنا في انتظارك) أربع مرات. تعبيراً عن الحالة التي تنتابه، والمشاعر التي كانت تسيطر عليه حين نظم القصيدة. وذلك حين قال:

أنا بانتظارك في الشــروق (م) * وفي الغروب وفي الــزوال[1]

أنا بانتظارك حين أصــحو (م) * طلعـــــة مثـــــل اللآلـــــي

أنا بانتظارك حــين أغفــو (م) * طائفـــــا مثـــــل الخيـــــال

الانتظار واحد ولكن قد اختلف انتظاره، في الشروق وفي الغــروب أو الصباح إلى آخر أنواع الانتظار.

وفي قصيدة (الحب المكروه) كرر الشاعر كلمة كرهتك ثلاث عشــرة مرة بجانب الألفاظ التي تدل على الكراهيــة (محنــق، غاضــب، واصــب، حرق...) فالتكرار جاء لبيان حجم الكراهية وتعدد أنواعها. التكرار في كــل هذا جاء ليوسع الإدراك العام للمعنى. وهي نظرة فلسفية إذ أن الحقيقة تتنوع باختلاف زمنها ومكانها. وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ **ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً...** ﴾[2].

أما عن أسلوب الحوار، فقد تميّز شعر سيد قطب عن ســائر شــعراء عصره باشتمال قصائده على كثير من الحوار الشعري وهذا النوع من الأدب يعتبر ميزة قديمة في الشعر العربي، يعتمد على التخيّل والتخييــل، وإثــراء الذهن وفيه دليل على جودة قريحة الشاعر ونقاء روحه.

لقد جسّد الشاعر نفسين تعيشان في داخله مفترقتين في بعض الأحيان، الأولى تتعلق بماضٍ عزيز لها والثانية تتطلع إلى حاضر ومســتقبل جديــد. فأدار بينهما حواراً. وذلك حين قال:

أنت أو غلت في الظلام طويلا * فمتى يا رفيق تبغــى القفــولا

يا رفيقــي إذا قــدرت فــأوب * إن هذا الظلام يضنى العقولا

---

(١) الانتظار الخالد: الديوان، ص ١٩٩

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨

فقالت النفس الثانية:

أنا أخشى النهار يكشف عنـــي * كـــل وهـــم أروده تعلـــيلا
أنا أخشى الضياء أبصر فيهـــا * ذكريـــات تبـــدلت تبـــديلا
الظلام الظـــلام أروح للقلـــب * ولو كان لا يـــريح العقـــولا

وفي قصيدة (في الصحراء)[1] رمز الشاعر في خيالـــه إلـــى نخلتـــين وأنطقهما بأفكار تدور في ذهنه وأجرى بينهما حواراً في أسلوب فنـــي رائـــع يجسد حلاوة أدب الحوار. الحوار الذي يهدف إلى كشف الحقيقة المخبأة.

أما عن شيوع الحكمة في شعره، فهذا واضح من خلال شعره. فكثيـــر من أبيات قصائده حِكَمٌ وأمثالٌ وعِبر، بل اشعاره نماذج حية لتعليم الناس فنون الحياة، ومعاني الحب والوفاء، وأدب الحوار. انظر إلى قصيدته (عزلة في[2] ثورة):

وحدة الأرواح أنكـــأ الوحـــدات * وحدة الأجسام تنسى وتهـــون

فهو يشير في حكمة بالغة إلـــى أن الأرواح المؤتلفـــة تخلـــد، عكـــس الأجسام، فمهما تألّقت مصيرها الزوال والافتراق. وإن رباط الـــروح أقـــوى وأشد من رباط الأجسام.

وينقل لنا الشاعر في قصيدة أخرى قوله: أن القلوب المخلصة تـــأتلف وتتحد أكثر من غيرها. وذلك حين قال:

أإذا مـــا أخلـــص الـــود فـــؤاد * لفـــؤاد مخلـــص فائتلفـــا

وفي حكمة أخرى، يرى الشاعر أن النصر غالٍ يشتر بالأنفس. فمـــن يبتغي الاستقلال فعليه أن يسلك طريقه. فطريق النصر طويل وشاق.

عهد علي الأيـــام ألا تهزمـــوا * فالنصر ينبت حين يهرام الدم

---

(١) في الصحراء، ص ١١٥

(٢) زلة في ثورة، ص ٣٩

وفي قصيدة (جولة في أعماق الماضي) أشار إلى حكمة بالغة في الدقة وهي أن الإحساس لا يمكن أن يتساوى، وإذا تساوى الإحساس تساوت الأشياء. فالأشياء مختلفة والحقيقة مختلفة وهذا ما يؤكد أن الحقيقة تختلف باختلاف الزمان والمكان أي أن الحقيقة متعددة في ذاتها. وذلك حين قال:

إنها النفس حين تصفو تراها * خلعت صفوها على الأكوان[1]

وهي النفس حين تغبرُّ يبدو * كل نور أمامها كالدخان

لو تساوى الإحساس في كل آن * تتساوى الأشياء في كل آن

أما افتتاحية قصائده بالبحث عن مفقود فهي كثيرة إذ يفتتح الشاعر بعض قصائده بالبحث عن المجهول أو المفقود كأن الشاعر يبدأ قصائده أولاً بالبحث عن شيء فقده، ثم يجده في متن القصيدة، ثم يسلّط عليه الضوء في خواتيم القصيدة.

انظر إلى قصيدة (حولة في اعماق الماضي) حين قال:

حدثاني بما مضى حدثاني * واعيدا إليّ عهد الأماني[2]

واذكرا لي زمان عشت طرواً * لا أبالي بحادثات الزمان

ثم جاء في قصيدة أخرى:

حدثيني بمستثار شجونك * وكشفي لي عما اختفى من شئونك

وفي قصيدته (الصديق المفقود).

ابحثوا لي ما استطعتم عن صديق * فلقد أعياني البحث الكثير[3]

وفي قصيدة خريف الحياة حين قال:

بكر الخريف فلا ورود ولا زهور * ومشى الركود فلا نسيم ولا عبير[4]

صمتت صوادحها فما تشدو الطيور (م) * بها وما تشدو الجداول بالخرير

وفي قصيدته عزلة في ثورة:

---

(١) جولة في أعماق ، ص ٧٤

(٢) جولة في أعماق الماضي، ص ٧٤

(٣) الصديق المفقود، ص ٥٦

(٤) خريف الحياة، ص ٥٩

حدثيني أنت يـــا نفســـي فمـــا * أفهـــم العـــالم أو يفهمنـــي[١]
أنتـــي أنكرتـــه اليـــوم كمـــا * أنـــه بـــالأمس قـــد أنكرنـــي
لم أجد فـــي الكـــون إلا ألمـــاً * إنما الوحدة أصـــل الشـــجن

وفي قصيدة الشاعر (في وادي الموتى):

من الطارق الساري خلال المقابر * كخفقة روح في الدجنات عابر[٢]

وفي قصيدة (ليلة):

ياليلة الأمس واللـــيلات ذاهبـــة * كغمضة العين في أضغاث أحلام[٣]

وفي قصيدة (الجنة الضائعة):

فقـــدتك يـــا جنتـــي الســـاحرة * وغادرت أفياءك العـــاطرة[٤]

وفي قصيدة (الخطر):

بـــــين التلقـــــت والحـــــذر * خطـــرت تبشـــر بـــالخطر[٥]

هذه فقط بعض الافتتاحيات التي انتهجها الشاعر بالبحث عن المفقـــود ومحاولة معرفة المجهول والمستور.

ومن الظواهر الملاحظة في الديوان، كثرة الاستفهام في قصائده. ولعل العلة في ذلك سعيه الجاد لكشف أسرار الحياة. نورد بعض الأمثلة لافتتاحيـــة بالاستفهام:

قصيدة (النفس الضائعة):

أإنني أنا؟، أم ذاك رمـــز لغـــابر؟ * لأنكرت من نفسي أخص شعائري[٦]
لأنكرت إحساسي وأنكرت منزعي * وأنكرت آمالي وشتى خـــواطري

وفي قصيدة (رثاء عهد):

---

(١) عزلة في ثورة، ص ٣٩
(٢) شار في وادي الموتى، ص١٢٤
(٣) ليلة، ص ١٥٣
(٤) الجنة الضائعة، ص ١٨٣
(٥) الخطر، ص ١٨٩
(٦) النفس الضائعة، ص ٦٠

أأنا أرثيك يـــا عهـــد المنـــى؟ * أأنا أرثيك يا عهد الوفـــاء[1]
أنت يـــا عهـــد أأرثيـــك أنـــا؟ * لا. فلن أقوى على هذا الرثاء

وفي قصيدة (الليلات المبعوثة).

أهو البعث يا ليـــالي الخلـــود؟ * أم ترى أنت خلقة من جديد؟[2]
أم ترى صورة منـــك صـــيغت * بين وحي الإلهام والتجويـــد؟
يا ليالي ما أراك سوى أنت (م) * كما كنت مرة فـــي الوجـــود

وفي قصيدة (في الصحراء).

ما لنا فـــي ذلـــك القفـــر هنـــا * ما يرحنا منذ حين شاخصات؟[3]
كل شيء صامت مـــن حولنـــا * وأرانا نحن أيضاً صـــامتات؟

وفي قصيدة (هي أنت).

هي أنت التـــي خلقـــت لنحيـــا * في ظلال من الوفاء الرشيد؟[4]
كحياة الأرواح تضـــفي حنانـــا * وهي تهفو في ظلها الممدود؟
حيثما الحب طـــائف يتـــراءى * كـــالملاك المهـــوم المكـــدود

وفي قصيدة أخرى.

أفأنت ذي؟ أم ذاك طيف منـــام؟ * إنـــي أراك كطـــائف الأحـــلام
لما خطرت وقد سموت بخاطري * الغيت شخصك كالملاك أمامي

وفي قصيدة (رسول الحياة) من المتقارب.

أفي كل لقيـــا شـــعور جديـــد؟ * وفي كل قرب ظماء يزيد؟[5]
وفـــي كـــل يـــوم أرى عالمـــاً * من الحـــب ينســـبنا للخلـــود

وفي قصيدة (يقظة).

سهرت؟ إذن تعـــالى حـــدثيني * بما أحسست من حرق الحنين[1]

---

(١) رثاء عهد، ص ٧٨
(٢) الليلات المبعوثة، ص ٨٧
(٣) في الصحراء، ص ١١٥
(٤) هي أنت، ص ١٦٠
(٥) رسول الحياة، ص ١٧٤

فقـــد جربتـــه ســـهر الليـــالي * وقد خبرت تســـهيد الجفـــون

وفي قصيدة (مأساة البدارى).

ما ذلك العرض الشريف يـــتلم؟ * ويسيل من حنق حواليه الدم؟[٢]

ومن الذي سام النفوس مهانـــة * بأبي ويأنفها الزلول الأعجـــم؟

هذه هي الظواهر التي تترأ من حين لآخر موضحة قدرة الشاعر على إبراز الجوانب الجمالية والإبداعية في شعره.

ومن الظواهر في الديوان عيوب القافية من حيث الحركـــات أو مـــن حيث الحروف. نورد هنا بعض الأمثلة.

١- في قصيدة (جولة في أعماق الماضي):

حدثاني بمـــا مضـــى حـــدثان * وأعيدا إليّ عهـــد الأمـــاني[٣]

واذكرا لي زمان عشت طروباً * لا أبـــالي بحادثـــات الزمـــان

وصفا لي لياليـــاً قـــد تقضـــت * كنت فيها كالحـــاكم الوســـنان

القافية (مامي) (ماني) (ناني) = (/ ٠ / ٠).

الألف: ردف. النون: روى. والياء: وصل.

وحركة الميم والنون: حذو (الميم والنون قبل حرف الردف).

نوع القافية من حيث الحركات: متواتر (٠/٠). حرف واحد متحـــرك بين ساكنيها. وفي هذه الأبيات لا يوجد عيب من عيوب القافية.

٢- قصيدة (خبيئة نفسي):

خبيئة نفسي قد غفا الكون فاسفري * وكوني سميري بعد أن نام سمري[٤]

سها الدهر والأقدار رنقها الكـــرى * وهوم في جوف الدجى روح خير

يطيف على العانين بالعطف والرضا * ويغمر بالاغفـــاء رأس المفكـــر

القافية (سممري، خبيري، فككري) (/٠//٠).

---

(١) يقظة، ص ١٩١

(٢) مأساة البداري، ص ٢٨١

(٣) جولة في أعماق الماضي، ص ٧٤

(٤) خبيئة نفسي، ص ١٣٢

الراء: حرف الروى. والكسرة: مجرى.

الياء: وصل ناتجه عن إشباع حركة الروى المكسور.

وعيب القافية: سناد الردف. لأن البيت الثاني جاء مردوفاً، والأول والثالث غير ذلك.

٣- (الشاعر في وادي الموت):

من الطارق الساري خلال المقابر * كخفقة روح في الدجنات عابر[١]

من الوجل المذعور في وحشة الدجى * تقلبه الأوهام في كل خاطر

القافية: عابرو: (/٠//٠)، خاطري: (/٠//٠).

نوع القافية من حيث الحركات: متدارك (٠//٠).

حروف القافية: الراء حرف الروى. الباء والطاء حرف الدخيل. والألف تأسس. والواو في البيت لأول حرف مد ناتج عن إشباع حرف الروى، ويسمى الوصل. والياء في البيت الثاني الناتجة عن إشباع حرف الروى المكسور وتسمى الوصل. وحركة حرف الروى في البيت الأول (الضمة) المجرى. وحركة حرف الروى في البيت الثاني (الكسرة) المجرى.

عيب القافية: في هذين البيتين إقواء. وذلك لاختلاف حركة الروى (المجرى) بالضمة والكسرة.

(يوم خريف):

وكأن الزمان ساوره الحزن * فأغفى إغفاءة المستكين[٢]

وكأن الأفلاك أجهدها السير * فناءت يحمل عبء القرون

القافية:كيني (/٠/٠) (روتى) (/٠/٠).

نوع القافية: المتواتر (/٠/٠).

حروف القافية: النون حرف الروى. والياء الناتجة عن إشباع حركة الروى (المجرى) تسمى الوصل. والردف في البيت الأول الياء والردف.

---

(١) الشاعر في وادي الموتى، ص ١٢٤

(٢) يوم خريف، ص ٢٣٨

وفي البيت الثاني الواو. والحذو في البيت الأول كسرة (الكاف). والحذو في البيت الثاني ضمة (الراء).

عيب القافية: في هذين البيتين سناد الحذو. لاختلاف حركة ما قبل الردف.

٥- من قصيدة اضطراب حانق:

أحياة أم نار الجحيم * بلظاها الهائج المسنعر[١]

لا ففي نفسي من الشجو الأليم * من حياتي فوق ما في سقر

القافية مستعر (٠//٠/) (في سقر) (٠//٠/).

نوع القافية: متدارك.

حروف القافية: الراء الساكنة حرف روى. (حرف روى مقيّد).

حركات القافية: التوجيه في البيت الثاني فتحة القافة.

والتوجيه في البيت الأول كسرة العين.

عيب القافية: في البيتين سناد التوجيه لاختلاف حركة ما قبل الروى المقيد بالكسرة والفتحة.

---

(١) اضطراب خانق، ص ٤٢

النتائج والملحوظات

في هذا البحث جهد متواضع، ممنياً النفس بإيفاء الموضوع حقه كاملاً. تمّت دراسة الديوان دراسة متأنية هادئة.

كانت حياة الشاعر ونشأته والمؤثرات العامة هي الركيزة التي انطلق الباحث منها في دراسة الديوان. ثم إجراء إحصائية لتحديد القصائد والأبيات التي نظمها الشاعر ومعرفة اتجاهاتها الشعرية.

تم تحليل تجربته الشعرية ومقومات تلك التجربة بالاستعانة على قدرات الشاعر التعبيرية، وشكل الأسلوب، واللغة، والموسيقى الشعرية، وتمخض كل هذا عن صور بلاغية وخصائص فكرية قيّمة. ثم جاء دور تمحيص الشاعر لمعرفة معجمه اللغوي، وإبراز جوانب الضعف والقوة في شعره. ثم تسليط الضوء على أبرز القضايا في شعره، والأحوال والمعاني التي تدور حولها القصائد عامة. وأخيراً توصلنا لتلك الملاحظة العامة المتمثلة في الظواهر التي ظهرت من خلال دراسة الديوان. التي كانت تعكس قدرة الشاعر على جزء كبير من مواهبه. ومما تقدم يمكن أن نخلص إلى النتائج والملاحظات الآتية:

ديوان سيد قطب يحتوي على تجربة شعرية قيمة. يجب تقديرها والوقوف عندها. وذلك لأن سيد قطب شاعر موهوب وصاحب فكرٍ متميزٍ وذوق رفيع وأداء متكامل. يعد إضافة حقيقية لشعراء العصر الحديث.

بدأ سيد قطب الشعر طفلاً في القرية عام ١٩٢١م، إلا أن البداية الحقيقية عام ١٩٢٥م. بلغ ذروة نظمه الشعر في عام ١٩٣٤م ثم بدأ الهبوط في إنتاجه الشعري، من ناحية الكم، في عام ١٩٤٠م إلى أن هجر الشعر نهائياً عام ١٩٥٧م لأسباب انشغاله بالأمور السياسية.

لقد تداخلت مؤثرات في صياغته للشعر، منها الريف، والشعراء السابقون، والغربة، والسجن. كل هذه المؤثرات أكسبته خبرة أدبية متميزة، وجعلت منه شاعراً وطنياً وثورياً.

اهتم سيد قطب في أكثر اتجاهاته وميوله بالغزل. والغزل يعتبر من أكثر الأغراض التي نظم فيها شعراً. وهذا دليل ارتباط الشاعر بالحب العام. ودليل آخر لإحساسه المرهف ومشاعره النبيلة.

تتمثل تجربته الشعرية بكل عناصرها ومقوّماتها في البيئة والحياة الاجتماعية والسياسية والخبرات المكتسبة هنا وهناك. فظهرت تجربة شعرية متميزة راقية تستهوى النفوس.

نضوج التجربة الشعرية لدى سيد قطب تشير إلى نظرته المتكاملة للحياة، وتقديره للأمور بحكمة ووعي تام. فهو يرصد الحياة رصداً متطوراً. وينظر إلى الكون برؤية الشاعر الملهم الموهوب. وكل هذه الوقائع لها أثر في تحديد وجهة وهوية شعر سيد قطب وبيان اتجاهاته وميوله.

يستمد الشاعر الصور الشعرية من الحياة العامة، ومن قضايا الناس، معتمداً على خياله، وخاصة في أدب الحوار الذي برع فيه كثيراً. وله قدرة كبيرة وقيمة على الوصف، والتعبير. فهو يصف الأشياء ويعبر عنها كأنها صوراً لمجسمات ننظر إليها ونتفحصها. وتكتمل الفكرة في ذهنك ويعطيك أثراً قوياً يبقى في الذهن زمناً.

للشاعر ثقافة واسعة في استخدام الألفاظ والأفكار التي تدور حولها القصائد، والأمور التي يعالجها في شعره أمور حيوية وتدل على مدى سعة أُفقه وثقافته.

للشاعر ثروة لغوية متفردة وذلك من خلال معجمه اللغوي المستخدم في قصائده. وهو يستدعى ألفاظاً جديدة، غير مستهلكة. ويبدو أن تعامله مع اللغة بها نوع من البساطة، لذا نجد بعض التعقيد في بعض الحالات النادرة.

برزت شخصية الشاعر من خلال الديوان، شخصية قوية ومؤثرة. شخصية لا تعتمد على غيرها ولا تقلد السابقين. شخصية مستقلة بذاتها. فشعره يعبر عن عدم ازدواجية شخصيته. أو تأثرها بآخرين. فكان إنتاجه من الشعر إنتاجاً فردياً صادقاً.

نجد في الديوان أسلوب السخرية وخاصة في قصائد التمرد والشكوى. فهو يسخر من الناس ومن الحياة عامة. وهذا جانب خفي في شخصية الشاعر اقتضتها حماسية الشاعر مع وجود المرونة في جوانب كثيرة من قصائده، والجمود في بعضها الآخر.

التوصيـــــــات

هنا بعض المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تســـاهم فـــي خدمـــة الأدب والشعر.

ضرورة دراسة الإرث الأدبي للشعراء الحديثين، والاهتمـــام بالإنتـــاج الشعري الخاص بهم؛ وذلك لمقارنتهم بالشعراء القدامى، وتقويم تطور الشعر عبر العصور، والسعي لتطوير وسائل الإنتاج الأدبي.

الاهتمام بتسليط الضوء على سيد قطب الشاعر، وليس الاهتمام بســـيد قطب المفكر الإسلامي فقط (دون شاعريته).

توسيع البحث لديوان سيد قطب من أجل الاستفادة من تجربته الشعرية، في التطبيق، وتوسيع أفق طلاب العلم في المجال الأدبـــي للشـــعر الحـــديث (القصاديون).

الرد على الذين يستنكرون شاعرية سيد قطـــب، وشـــعره الوجـــداني الرقيق الرد على الذين يخفون هذا الجانب المهم من حياته الأدبية والفكرية.

أوصي بتوفير كتب ومؤلفات في هذا الجانب تشـــمل شـــرح وتفســـير قصائد الديوان وتحليلها تحليلاً أدبياً، وذلك لإضافة قيمة أدبية جديدة للمكتبـــة العربية.

كما أوصي بتوفير كتب ومؤلفات الشعراء الذين عاصروا تلك الحقبـــة الزمنية. أوما يسمون (القصاديون) نسبة للقصاد) وبخاصة السودانيون منهم.

الفهـــــــارس:

- فهرست الآيات
- فهرست الأشعار
- فهرست الأعلام
- فهرست الأماكن والبلدان
- فهرست الشعوب والقوميات
- فهرست المصادر والمراجع
- فهرست المحتويات

فهرس الآيات

الرقم	السورة	رقم الآية	الصفحة
	السورة		
١	سورة البقرة	١، ٢، ٣	
٢	البقرة	١٤٥	
٦	المائدة	٤٨	
٩	إبراهيم	٤٢	
١٠	مريم	٦١	
١١	الفرقان	٧٤	
١٢	النمل	١٩	
١٤	المجادلة	١١	
١٥	المطففين	٢٦	

فهرست الأشعار

(١) بحر الطويل دائرة المختلف:			الصفحة
تـــذكرني حبـــاً قـــديماً دفنتـــه	*	وانقض كفى يائســاً مــن آســيا	
إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي	*	حننت لمرآة إلى الضفة الأخــرى	
شكا بؤس ماضيه الحفيل الجوانب	*	بكل مصاب فادح العبء صــائب	
ولكنـــه ألفـــاه أســـوان موحشـــاً	*	كما أفرد الأنسى من كل صاحب	
فعاد إلى الأقدار يشكو صــنيعها	*	ويوسعها في شكوه عتب عاتــب	
فعاد إلى الأقدار يطلــب عونهــا	*	على رجع ماضيه بحسرة تائــب	
خطا الزمر الوثاب بعض التوثب	*	إلى أين؟ قد أوغلت في غير مذهب	
تحير في سرّ الحياة وما اهتــدى	*	إليه ولم يقنــع بتلــك الظــواهر	
أنقب عن نفسي التي قــد فقــدتها	*	بنفسي التي أحيا بها غير شــاعر	
أعيش بلا مــاض كــأني نبتــة	*	على السطح تطفو في مهب الأعاصر	
وقد كان في المجهول مطمح كاسف	*	تحجبــه عــن طالبيــه الســتائر	
أفي هذه الأجداث طلســم ســره	*	لعل فمن يــدري بســر المقــابر	
من الطارق الساري خلال المقابر	*	كخفقة روح في الــدجنات عــابر	
هو الشاعر الملهوف للحق والهدى	*	وللسر لم يكشف ضــوء لنــاظر	
وما هي إلا ومضة تكشف الدجى	*	ويخلع هذا الجسم والجسم صــائر	
ففي نفسه ما يشبه الموت ســكرة	*	ومن حوله موت نمتــه المقــابر	
فيا ليته يدري بما خلــف ســتره	*	فيختم سفر الناس في الأرض ظافر	
دعيهــا تغــرد لحنهــا وترجــع	*	وتمرح ما شاءت وتلهو وترتــع	
إلى أيّ سرّ بل إلــى أي طلســم	*	توجه من عينيك إشــعاع ملهــم	
خبيئة نفسي ما ترى أنــت إنتــي	*	أريدك في جوّ من الضوء معلــم	
أبيتي إذن عن ذلك العــالم الــذي	*	تضــمنته مــن صــور ومعــان	
عجبت لنفسي لا تراع من الأسى	*	ويقتلها خطب ينيخ علــى غيــي	
لقد حجب العقل الــذي نستشــيره	*	حقائق جلّت عن حقائقنا الصغرى	
فأنت عزائي في حيــاة قصــيرة	*	وأنت امتدادي في الحياة وخــالقي	

(٢) بحر البسيط دائرة المختلف:			
محلل القلب أنغاماً وألحانا	*	وملهم الوحي أسراراً وإعلانا	
هدأت يا قلب فاهدأ هكذا أبدا	*	وعش هنيئاً إذا أحسست سلوانا	
العين ماذا تقص العين من خبر	*	مسلسل في حنايا النفس منساب	
أقلاك أقلاك كالشيطان أقلاك	*	أقلاك كالسم يسري جدّ فتاك	
(٣) بحر الوافر دائرة المؤتلف:			
تعيش معيشة الطلقاء فيه	*	وكون الناس يثقلهم قيودا	
تغنى وأملئ الدنيا نشيدا	*	وحييّ ذلك الكون الجديد	
كرهتك أيها الحب	*	كراهة محنق غاضب	
سهرت إذن تعالي حدّثيني	*	بما أحسست من حرق الحنين	
(٤) بحر الكامل دائرة المؤتلف:			
اذهب وخلفني هنا متألما	*	لا تلقني سمحاً ولا متجهما	
اذهب وخلّفني هنا تذوب حشاشتي	*	ويبص قلبي من قرارته دما	
الحبّ قاض على الحياة بخصبه	*	وأجدّ عمرانا بكل مخرّب	
تغلو الدقائق في حياة حقية	*	وتهون أعوام يعمر مجدب	
واليوم آسف للقائق تنطوي	*	من عمري الغالي الثمين الطيب	
لا أنت ساعده الزمان ولا أنا	*	لا أنت داعية ولا أنا مستجيب	
ماذا سيولد يوم يولد يا غدي	*	إني أحس بهول هذا المولد	
حتى إذا لاح اليقين خلالها	*	أشفقت من وجه اليقين الأسود	
الآن أعلم أن كل خواطري	*	تهفو إليك كرقرقات الطائر	
الأرض غير الأرض في دورانها	*	لتكاد من قرض السآمة لا تدور	
حبّ الذي أحييت فيه حياته	*	مما لديك من الحيا المدخور	
خمسٌ مضين تجنك الأستار	*	فيها وقبرك كعبة ومنار	
عهد على الأيام ألا تهزموا	*	فالنصر ينبت حيث يهراق الدم	
ما ذلك العرض الشريف يثلم	*	ويسيل من حنق حواليه الدم	
ومن الذي سام النفوس مهانة	*	يأبى ويأنفها الذلول الأعجم	
أفأنت ذي أم ذاك طيف منام	*	إني أراك كطائف الأحلام	

فـــي أيّمـــا بلـــد نعـــيش وأيمـــا	*	عهد يمرّ علـــى الكنانـــة مظلـــم	
وحشية كشف الزمـــان حجابهـــا	*	لا بل أشد من الوحـــوش وأظلـــم	
هـــو الجهـــاد حميـــة جشـــامة	*	ما إن تخاف من الردى أو تحجم	
أبطـــال اســـتقلال تلـــك تحيـــة	*	من قصـــر يبعثهـــا فـــؤاد مفعـــم	
مهد الرجـــاء ومهـــبط الأحـــلام	*	وطني عليـــك تحيتـــي وســـلامي	
البائســـون إذا ســـمت أنيـــتهم	*	أحسست أن مصابهم هو صـــائبي	
حفّ الرثاء بخـــاطري المفجـــوع	*	وصمتُ لا أقضى بغير دمـــوعي	
إني فقدتك فـــي الطفولـــة غـــافلاً	*	عما حديث من الوجـــود الســـامي	
يا ريق فيك مـــن الخلـــود أثـــارة	*	تنساب في خلدي وفـــي أوهـــامي	
(٥) بحر الرّمل دائرة المشتبه:			
أنا يـــا أختـــاه لا أدري الجـــواب	*	ودفين الســـرّ لـــم يكشـــف لنـــا	
هـــوّم النـــوم وأرخـــى ريشـــه	*	واحتـــوائي بجنـــاح قـــد تـــدلى	
يـــا شـــباباً ناعمـــا مســـتأنثا	*	كذات الخدر فـــي ظـــل الخبـــاء	
سجلي يا أرض وارعي يا ســـماء	*	مصرع الجبـــار بـــين العظمـــاء	
ودم المختـــار مـــا زال نـــدياً	*	يســـتحث الخـــانعين الضـــعفاء	
أو عهـــد هـــو ريّـــا مهجتـــين	*	وهو سار في الحنايـــا والشـــباب	
ضـــجت الـــدنيا فمـــاذا ترتقـــب	*	مصر من أحوالهـــا حتـــى تثـــب	
أفهـــذي مصـــر أم مـــاذا أرى	*	أمـــة أخـــرى وشـــعب منقلـــب	
بلـــل الوجـــد وهـــدّئ زفراتـــه	*	فهـــو قلـــب ضـــيق بـــالزفرات	
مالنـــا فـــي ذلـــك القفـــر هنـــا	*	ما برحنا منذ حـــين شاخصـــات	
أتـــرى أحيـــا بـــروح لا تحـــس	*	وفؤاد ليس يـــدري مـــا الشـــعور	
قـــد تولّـــت وذوت نضـــرتها	*	وبـــدت كالميـــت المحتضـــر	
إن نفسي ليس ترضى أي نفـــس	*	تقبـــل العـــيش لســـكان القبـــور	
أغلب الظن وقد تـــدري الظنـــون	*	إنهـــا ألعـــاب دهـــر ســـافر	
ابحثوا لي ما استطعتم عن صديق	*	فلقـــد أعيـــاني البحـــث الكثيـــر	
أحيـــاة هـــي أم نـــار الجحـــيم	*	بلظاهـــا الهـــائج المســـتعر	
لا ففي نفسي من الشـــجو الأليـــم	*	من حياتي فوق ما في سقر	

لا فمـــا أقفـــر هاتيـــك النفـــوس	*	لا فمـــا أجمـــد ذيّـــاك الشـــعور	
غير أن الكون ذو طبـــع صـــفيق	*	ناصب الإحساس ممسوح الضمير	
إن وجه الكـــون مغبـــر عبـــوس	*	يهمـــوا فليغربـــوا عنـــه ينيـــر	
هكـــذا عشـــت كســـكان القبـــور	*	في ربيع العمر في العهد النضـــر	
هو خطى منـــك تلـــك النظـــرات	*	كلمـــا جـــادت بمـــرآك الصـــدق	
أأناســـــــياً أرى أم حشـــــــرات	*	شوّهت من طلعت الكون الجميـــل	
حقـــروا الفقـــه والحـــس البـــراء	*	حقروا الروح وهـــاموا بالجســـوم	
لاح لي من جانب الأفـــق شـــعاع	*	بينما أخبط فـــي داجـــى الظـــلام	
حطـــم الـــدهر قـــواه فـــانحطم	*	وتنـــزى الـــداء فيـــه والألـــم	
يشـــتكي العجـــز الـــذي أقعـــده	*	عن صـــراعات وهـــول يقـــتحم	
أقفـــرت شـــيئاً فشـــيئاً كاليبـــاب	*	غير آثار مـــن النبـــت الهشـــيم	
هو قلب ما درى كيف الســـرور	*	لا ولا كيـــف يرائـــي أو يخـــون	
وإذا الكـــون حواليـــه خـــراب	*	موحش الأرجاء مفقـــود القطـــين	
إيه يا دنيـــا ومـــا أنـــت ســـوى	*	عبـــث الأطفـــال فيمـــا يلعبـــون	
حدثيني أنـــت يـــا نفســـي فمـــا	*	أفهـــــم العـــــالم أو يفهمنـــــي	
تلـــك لبلاتنـــا وهـــذا صـــداها	*	إيـــه ليلاتنـــا أخلـــدي لا تغيبـــي	
(٦) بحر الخفيف دائرة المشبه:			
أنت أوغلت في الظـــلام طـــويلاً	*	فمتى يـــا رفيـــق تبقـــى القفـــولا	
ورأينا الأوهام تبـــدو شخوصـــاً	*	ورأينا الشـــخوص تبـــدو هبـــولا	
وغنـــاء عـــن الخلـــود غـــرام	*	هـــو رمـــز ووصـــلة للبقـــاء	
أبهـــذا اليقـــين إنـــك قـــاس	*	ما تطلبت كـــل هـــذا المصـــاب	
أنـــت ليلاتنـــا فقضـــى علينـــا	*	كيف أفلت مـــن زمـــان القيـــود؟	
هـــازج بالنشـــيد تلـــو النشـــيد	*	وهو يمضي إلـــى مـــداه البعيـــد	
نظـــرة منـــك وابتســـامة حـــب	*	تترك الصـــعب ليثـــا كـــالمهور	
يا جمالاً بريـــف مصـــر قريـــراً	*	هادئ البال فـــي خشـــوع وقـــور	
زوّدينـــــي لكـــــاد ينفـــــد زادي	*	في صراع مـــن الحيـــاة طويـــل	
ليلـــة الشـــك والأســـى والظـــلام	*	وجحيم الإقدام والإحجام	

يا ديـــاراً نشـــأت فيهـــا صـــبياً	*	وصحبت الشباب فـــي العنفـــوان	
عجباً أنت مـــا تـــزالين حلمـــي	*	ومثـــالي وفكرتـــي ونشـــيدي	
(٧) مجزوء المجتث دائرة المشتبه			
يـــــا نائيـــــات الضـــــفاف	*	هنـــــا فتـــــاك الحبيـــــب	
عـــودي إلـــى العـــش عـــودي	*	ورفرفـــــي مـــــن جديـــــد	
فـــي الجـــو يـــا مصـــر دفء	*	بـــــدني إلـــــيّ خيالـــــك	
متـــــى تـــــرى عينـــــاه	*	تلـــــك الربـــــوع المواثـــــل	
(٨) بحر المتقارب دائر المتفق:			
أكـــاد أشـــارف قفـــر الحيـــاة	*	وأشـــفق مـــن هولـــه المرعـــب	
قد انتصـــر الحـــب بالانتصـــار	*	بهـــذا العتـــاب وهـــذا الغضـــب	
الناس تقنـــع بالحيـــاة وترتضـــي	*	فيها محاســـن شـــوّهت بمثالـــب	
أخي أنـــت حـــر وراء الســـدود	*	أخي أنـــت حـــر نيلـــك القيـــود	
أخـــي يـــا قيمـــاً وراء الســـدود	*	تلوح بوجهـــك ســـيما الســـجود	
هو الحـــب لا القـــدر المســـتطيل	*	يقسم في الكـــون شـــتى الجـــدود	
أخي من ربـــى الأردن الصـــابر	*	ومـــن حـــرم المقـــدس الطـــاهر	
لعهـــد الرضـــا وعهـــد الحيـــور	*	وعهـــد الصـــفاء القليـــل الكـــدر	
لأي مـــن الأمـــر هـــذا التطلـــع	*	وهـــذا التوثـــب هـــذا الحـــرق	
غريب أجـــل أنـــا فـــي غربـــة	*	وإن حفّ بي الصحب والأقربون	
غريـــب بنفســـي ومـــا تنطـــوي	*	عليـــه حنايـــا فـــؤادي الحنـــون	
قـــد اختارنـــا الله فـــي دعوتـــه	*	وإنـــا سنمضـــي علـــى ســـنته	
فقـــدتك يـــا حنتـــي الســـاحرة	*	وغـــادرت أفيـــاءك الســـاحره	
ألست التـــي نبضـــت بـــالوجود	*	فشـــق قـــوى العـــدم الســـاحره	
غضبت فيا لـــك مـــن غاضـــبه	*	وأرســـلتها نظـــرة عاتيـــه	
أجـــل مـــن الحـــزن والمـــأتم	*	جمالـــك إن كنـــت لا تصـــلحي	

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
١	إبراهيم عبد القادر المازني	
٢	إبراهيم عبد الرحمن البليهي	
٣	ابن رشيق	
٤	أحمد حسين عثمان	
٥	أحمد أمين	
٦	أحمد شوقي	
٧	أحمد زكي أبو شادي	
٨	أحمد ماهر	
٩	أحمد الشلبي	
١٠	إسماعيل صبري	
١١	الخليل بن أحمد الفراهيدي	
١٢	العقاد (عباس محمود)	
١٣	الرافعي (مصطفى صدقي)	
١٤	الكشميري (سيد بشير أحمد)	
١٥	العبيد حاج الأمين	
١٦	الملك فاروق	
١٧	الفرد دي موسيه	
١٨	أرسطـــــو	
١٩	إسماعيل صبري	
٢٠	أمينة قطب	
٢١	بيرون	
٢٢	جمال عبد الناصر	

٢٣	حسن إسماعيل الهضيمي	
٢٤	حسن البنا	
٢٥	حميدة قطب	
٢٦	حسن إسماعيل الصهيبي	
٢٧	خليل مطران	
٢٨	رانيد رانابه طاغور	
٢٩	زينب	
٣٠	سارة	
٣١	سامي الدهان	
٣٢	سامي	
٣٣	سعاد	
٣٤	سعد زغلول	
٣٥	سميرة	
٣٦	سيد قطب	
٣٧	صدقي باشا	
٣٨	ضياء (الضابط)	
٣٩	طه حسين	
٤٠	عبد الباقي محمد حسين	
٤١	عبد الرحمن شكري	
٤٢	عبد الله (الجد السادس)	
٤٣	عمر المختار	
٤٤	فايد العمروسي	
٤٥	فرويد	
٤٦	فكتور هوجو	
٤٧	قدامه بن جعفر	

٤٨	لطفي السيد	
٤٩	محمد حسين هيكل	
٥٠	محمد غنيم هلال	
٥١	محمد قطب	
٥٢	محمد حسين هيكل	
٥٣	مي زيادة	
٥٤	نفيسة قطب	
٥٥	همام	
٥٦	وليد العظمي	
٥٧	يوسف العظم	
٥٨	يونس مصطفى	

فهرس الأماكن والبلدان

الرقم	المكـــــــان	الصفحة
١	أسوان	
٢	أسيوط	
٣	البداري	
٤	الرياض	
٥	زنزانة	
٦	السجن	
٧	السهول	
٨	السودان	
٩	الصحراء	
١٠	القاهرة	
١١	الكعبة	
١٢	الهند	
١٣	الولايات المتحدة	
١٤	أمريكا	
١٥	خزان جبل أولياء	
١٦	دمشق	
١٧	فلسطين	
١٨	قنا	

فهرس الشعوب والقوميات

الرقم	القبيلة	الصفحة
١	الأندلسية	
٢	الأوروبية	
٣	الأوردية	
٤	التركية	
٥	العربية	
٦	الفارسية	
٧	الهندية	
٨	اليهودية	

المصادر والمراجع

١. إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي، سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري، بحث مقدم لنيل الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض، (١٣٩٠-١٣٩١هـ).

٢. إبراهيم عبد الرحمن محمد، مناهج نقد الشعر في الأدب العربي الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، القاهرة.

٣. أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤. إحسان عباس، فن الشعر، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٦م.

٥. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٦. أحمد عبد اللطيف، حسني أدهم، شعراء الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، مؤسسة الرسالة.

٧. أحمد نعيم الكراعين، نصوص ودراسات أدبية، منشورات جامعة صنعاء.

٨. أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي في مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، دار المعارف بمصر.

٩. إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.

١٠. إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.

١١. أنور الجندي، أضواء على الأدب العربي المعاصر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

١٢. الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة.
١٣. زين كامل الخويسكي والدكتور محمد مصطفى أبو شوارب، العروض العربي صياغة جديدة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الإسكندرية.
١٤. سيد بشير أحمد الكشميري، عبقري الإسلام سيد قطب الأديب العملاق والمجدد الملهم في ضوء آثاره وإنجازاته الأدبية، دار الفضيلة، القاهرة.
١٥. سيد قطب بالاشتراك مع عبد الحميد حودة السحار، القصص الديني، الطبعة الأولى، مكتبة مصر بالفجالة.
١٦. سيد قطب، أشواك، الدار السعودية للنشر، جدة.
١٧. سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، دار الشروق.
١٨. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، مطبعة القاهرة، الطبعة الحادية عشر (بدون تاريخ).
١٩. سيد قطب، المدينة المسحورة، الدار السعودية للنشر، جدة.
٢٠. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومنهاجه، الطبعة الأولى، القاهرة.
٢١. سيد قطب، طفل في القرية، الدار السعودية، (بدون تاريخ).
٢٢. سيد قطب، كتب وشخصيات، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م، مطبعة الرسالة، القاهرة.
٢٣. سيد قطب، مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر، دار الشروق، القاهرة.
٢٤. سيد قطب، نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م، الدار السعودية للنشر، جدة.
٢٥. شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، الجزء الخامس، بيروت.

٢٦. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، الطبعة العاشرة، القاهرة.
٢٧. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب الشهيد الحي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨٠م، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن.
٢٨. طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، م١١، حصام ونقد، و م٩، مستقبل الثقافة في مصر، ط١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٢٩. طه حسين، تاريخ الأدب العربي، ٣ أجزاء، ط١، ١٩٧٤م، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٠. عباس محمود العقاد، يوميات (٢) الجزء الثاني، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، نوفمبر ١٩٩٦م.
٣١. عباس محمود العقاد، يوميات الجزء (١)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، يوليو ١٩٩٦م.
٣٢. عبد الباقي محمد حسين، ديوان سيد قطب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، دار الوفاء، المنصورة.
٣٣. عبد العزيز الدسوقي، تطور النقد الحديث في مصر، القاهرة، ١٩٧٧م.
٣٤. عبد الله عوض عبد الله الخباص، سيد قطب الأديب الناقد، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، مكتب المنار، الزرقاء، الأردن.
٣٥. عثمان موافي وسعيد الوراقي، دراسات في النقد العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الجزء الثاني.
٣٦. غازي طليمات، الأدب الجاهلي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٧. محمد الرجوي، سيد قطب الأديب الناقد، الطبعة الأولى، القاهرة.

٣٨. محمد بن أحمد بن طاطب، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلامة، عيار الشعر، الطبعة الثالثة، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية.
٣٩. محمد زغلول سلام، النقد الأدبي والبلاغة، من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، الجزء الثاني.
٤٠. محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية بالفجالة.
٤١. محمد غنيم هلال، النقد الأدبي الحديث، ٢٠٠١م، نهضة مصر للطباعة والنشر، مدينة السادس من اكتوبر.
٤٢. محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق.
٤٣. محمد مورو، الإمام الشهيد سيد قطب، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة.
٤٤. مصطفى عبد اللطيف السحرتي، مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٤٨م.
٤٥. يوسف العظم، الفكر الإسلامي لسيد قطب، الجزء الأول، القاهرة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
• الآية (الاستهلال)	أ
• الإهداء	ب
• شكر وتقدير	ج
• المقدمة	د-
• الصعوبات	
• أسباب اختيار البحث	
• أهمية البحث	
• منهج البحث	
• هيكل البحث	
الفصل الأول: شاعرية سيد قطب	
المبحث الأول: حياته ونشأته والمؤثرات العامة	
❖ المطلب الأول: عصره وبيئته وأثرهما في شعره	
❖ المطلب الثاني: حياته وأثرهما في شعره	
❖ المطلب الثالث: مراحل نظم الشعر عنده	
المبحث الثاني: مؤثرات عامة في شعره	
❖ المطلب الأول: تأثره بالعقّاد	
❖ المطلب الثاني: تأثره بالريف	
❖ المطلب الثالث: أثر السجن في شعره	
❖ المطلب الرابع: أثر الغربة في شعره	
الفصل الثاني: قصائد الديوان واتجاهاتها الشعرية	
❖ المبحث الأول: العزلة والانطواء على النفس	
❖ المبحث الثاني: قصائد شكاوى	
❖ المبحث الثالث: قصائد الحنين إلى الريف	
❖ المبحث الرابع: قصائد التفكير في حقائق الأشياء	

الموضوع	الصفحة
❖ المبحث الخامس: أبعاد غزلية	
❖ المبحث السادس: قصائد الأسلوب الوصفي وتوليد المعاني	
❖ المبحث السابع: قصائد الوفاء والتحسر	
❖ المبحث الثامن: الوطنيات	
❖ المبحث التاسع: قصيدتا الالتزام الإسلامي	
❖ المبحث العاشر: الإحصائية العامة والإحصائية الزمنية	
❖ الإحصائية الزمنية والتعليق عليها	
الفصل الثالث: التجربة الشعرية ودورها في شخصية الشاعر	
(١)	
❖ المبحث الأول: مقومات التجربة الشعرية	
❖ المبحث الثاني: قدرة الشاعر على الوصف والتعبير	
❖ المبحث الثالث: الموسيقى الشعرية	
❖ المبحث الرابع: الصور الشعرية	
❖ المبحث الخامس: الخصائص الفكرية في الديوان	
❖ المبحث السادس: الصور البلاغية	
(٢)	
❖ المبحث الأول: شخصية الشاعر من خلال شعره	
❖ المبحث الثاني: معجم الشاعر اللغوي	
❖ المبحث الثالث: سيد قطب بين الشعر والنقد	
❖ المبحث الرابع: تأثر الشاعر بالقدامى	
الفصل الرابع: أبرز القضايا في شعر سيد قطب	
المبحث الأول: المرأة في شعر سيد قطب	
المبحث الثاني: الحالات النفسية في شعره	
المبحث الثالث: إحساس الشاعر بالكون وعلاقته بالحياة	
❖ المطلب الأول: صورة الكون في نظره	
❖ المطلب الثاني: الإحساس بالتشاؤم	

الموضوع	الصفحة
❖ المطلب الثالث: الإحساس بالمجهول	
❖ المطلب الرابع: الإحساس بدور العقل	
❖ المطلب الخامس: الإحساس بالزمن	
❖ المطلب السادس: الإحساس بالخلود	
المبحث الرابع: ملكة التصوير وروح القصص	
المبحث الخامس: ملكة التصوير والظلال في تجربته القصصية	
المبحث السادس: القضايا الوطنية	
الخاتمة	
❖ أهم الظواهر التي تناولها البحث	
❖ التحاليل والنتائج والملاحظات	
❖ أهم التوصيات	
الفهـــــــارس:	
❖ فهرست الآيات	
❖ فهرست الأشعار	
❖ فهرست الأعلام	
❖ فهرست الأماكن والبلدان	
❖ فهرست الشعوب والقوميات	
❖ فهرست المصادر والمراجع	
❖ فهرست المحتويات	